الفصل الثاني

"متنبئ أم مداوي"
السحر و الطب من الشرق إلى الغرب
"A SEER OR A HEALER"
Magic and Medicine from East to West

"محترفو المقدس": الحركة و بُنية العائلة

إنَّ أول من جاء هومر على تعدادهم كمهاجرين "حرفيين"، أي الأفراد الذين يرغب المجتمع في كسبهم، هم المتنبئون والأطباء. إنهم مختصون من نوع معين وعندهم التقنية - techne - التي لا يستطيع أن يتقنها أي شخص آخر. لقد ارتبط ظهور المتنبئين والأطباء بشكل وثيق بالفترة التي سبقت الحقبة "الأبوقراطية" على الأقل. أما التغيير فقد تم توثيقه في رسالة نُسبت إلى أبوقراط وعنوانها رسالة *عن الأمراض المقدسة* في القرن الخامس؛ إن هذه الرسالة تزدري المداوي المُطَهر باسم الطبيعة. وقبل تلك الوقفة في رسالة أبوقراط، كان من الممكن للمتنبئ و المداوى أن يكونا شيئاً واحد وذلك لأن الدخول في الطقوس الدينية والتنجيم كانا يطغيان على مفهوم الحياة، وهذا ما تشير إليه الكلمات[1] telestikos kai mantikos bios. ويجب أن لا يحجب التحامل على الدجالين، في أيامنا هذه، أهمية المداواة التي تعتمد على الطقوس و الدين في المجتمعات القديمة. وفي أيامنا هذه، فمن الصعوبة بمكان الجدل أنه في حالات محددة، يمكن تحقيق نجاح مذهل بمثل تلك الوسائل. إن المتنبئين يتمتعون بعمل مرموق و ذلك من خلال استعمالهم لأساليب متنوعة.

تُعدّ جملة "الذي يجعل المقدس مهنته[techne]" وصفاً تذكارياً موجوداً في ورق البردي الديرفيني للناس المتخصصين في الطقوس الدينية الخاصة. و بنزعة مماثلة، يشير سترابو إلى المهن الدايونيسية و الغموضية "؛ و يشير كذلك إلى الشخص الجدلي الأبوقراطي على أنه تقني أكثر من كونه ميكانيكي[٢]. ولكن حتى هذا المؤلف يعترف بأن المتنبئين و المداوين المهاجرين يحتلون مكاناً كحملة لبعض أنواع المعرفة. وفي الحقيقة كان يجري البحث عن الشخصيات من الملهمين المختصين و الناجحين كما يمكن أن يحدث اليوم. و قد كان بمقدور هؤلاء المختصين أن يتجاوزوا الحدود بسهولة أكثر من الحرفيين الآخرين ذوي المهارات الأبسط. ولما كان هؤلاء الملهمون المهاجرون حملة متنقلين لمعرفة عبر الثقافات، فإنهم يستحقون عناية خاصة للنظر إليهم كأدوات اتصال ثقافية[٣]. وفي الحقيقة إنهم يمثلون النخبة المثقفة في عصرهم، وكانوا يتمتعون بفرصة الحصول على مكانة عالمية.

هناك دليل على حركية المتنبئ الذي يحسن السيطرة على السحر في الشرق القديم. فقد استدعى ملك موآب العراف بيليم من الفرات ليأتي إليه ويلعن إسرائيل؛ ولكن روح الإله، التي جاءت إلى المتنبئ، جعلته يتلفظ بالمباركة بدلاً من اللعنة[٤]. وفي مراسلات تل العمارنة، طلب ملك أوغاريت وملك الحيثيين أن يُؤتى إليه بكل من المتنبئ و الطبيب؛ أما أحد ملوك آلاسيا في قبرص فقد كان بحاجة إلى "صقر - عَرّاف"، أي طير مُنجم من مصر[٥]. وطلب ملك مواتاليس، ملك هاتسا، مُحضّر أرواح من بابل[٦]. أما في المناطق الأكثر هامشية حيث تكون سلطة الملوك ضعيفة، فكانت استقلالية المتنبئ تتعزز وفقاً لذلك حيث كان بإمكانه أن يسافر بحرية وبمبادرة شخصية كما هو مبّين في كل من بلاد الإغريق وإسرائيل[٧]. وكما كانت عليه الحال مع الحرفيين المحليين، فقد تطورت المغامرة الحرة في العالم الإغريقي بشكل خاص. وتُظْهِرُ حالة تيساميnوس المكانة القوية التي كان يحتلها المتنبئ في المدينة فقد ادعى أنه ينحدر من المتنبئ الأسطوري ميلامبس، واستطاع أن يفرض شروطه على إسبارطة مخالفاً لعادة الأجداد؛ وأخيراً إعْتُبر هو "المنتصر" في معركة بلاتاي التي حدثت في العام (٤٧٩) قبل الميلاد[٨]. وبالمقارنة بذلك، تحدث أفلاطون بنبرة احتقار عن أولئك

"المتسولين - القساوسة والمتنبئين" الذين يقدمون خدماتهم "على أبواب الأغنياء". وعلى الرغم من ذلك كله، فقد بيَّن أنهم كانوا قادرين على إقناع " مدن بأكملها.[٩]" وفي حوالي العام ٦٠٠ قبل الميلاد، استدعت مدينة أثينا المتنبئ الكريتي إبيمينديس لتطهير المدينة من التدنيس الذي ألحقه السايلونين بالمقدسات[١٠]. و بطريقة مشابهة وبعد العام ٤٦٦، استدعت إسبارطة المُرتَزَقة من فيجاليا لأن الموت المشؤوم لبوسانيس قد لوث مقاطعات أثينا[١١]. وقبل ذلك وفي حوالي العام ٦٧٠، أنقذ ثاليتاس الكورتيني إسبارطة من الطاعون[١٢]؛ وقيل لنا أن أستاذه أونوماكريتوس اللوكراني قد تجول حتى وصل إلى كريت و أنه أقام هناك معتمداً على فنه السحري[١٣]؛ وقد إستُعمل المصطلح epidemia للإقامة المؤقتة كما استعمل بشكل نمطي ليدل على المهاجرين الأطباء كما وأنه ينطبق على المتنبئين. ووفقاً لأفلاطون فقد جاءت ديوتيما إلى أثينا من مانتينا و"استطاعت تأخير مجيء الطاعون لمدة عشر سنوات من أجل أولئك الذين قدموا الضحايا بالطريقة التي آمرت بها[١٤]". أما قصيدة تطهير إمبيدوكلس فقد أعطت بُعداً وجودياً أساسياً لحياة المهاجر المتنبئ: "أُبْعِدَ عن الآلهة وتاه" هكذا كان وضع إمبيدوكلس، ولهذا السبب كان باستطاعته أن يظهر كإله[١٥].

كان على كل من يريد أن يجعل المقدس و التنبؤ مسيرة حياته، أن يفعل ذلك بمسؤوليته ومغامرته الخاصة. لم يكن هناك بيوت للكهنة، كما لم تكن هناك منازل دينية. ومع أن هؤلاء الناس كانوا يتمتعون بمكانة خاصة أقرت بها التقاليد، فإنهم ادعوا أيضاً أنهم يعتمدون على نسب ما لمذهب ما أو أسلوب ما حيث أن لكل من هؤلاء المهاجرين الملهمين "والده"، سواء أكان هو والده الطبيعي أو أستاذه والذي جعله ابنه من خلال المهنة، غالباً ما تبناه بشكل رسمي. وإن أشهر هؤلاء هم الميلامبوديديون الذي ينتسب إليه تيساميnوس[١٦]. ولم يكن الإياميدي الأولمبي والكليتيادي، اللذان هما على علاقة بأولئك بالمتنبئين، أقل فخراً بأجدادهم حيث استمرت فعالياتهم لقرون من الزمن. وكانت عائلة التيلميسيانين في كاريا عائلة مشعوذة أيضاً (genos)[١٧]. أما نجاح عائلات القساوسة في إليسس فقد استمرت لفترة طويلة، وكذلك الأمر بالنسبة للإيمولبيدي والكيريكس الذين قاموا بأداء مهامهم

بشكل رسمي لحوالي ألف عام واستمروا بذلك إلى أن جاء الإمبراطور المسيحي ومنع الأعمال السرية بشكل نهائي[١٨]. وكان بإمكان الفرد من العائلة أن يتجه للسفر ويصبح ناجحاً في أجزاء أجنبية كمختص في الأمور المقدسة وهذا ما فعله تيموثيس مع بطليموس الأول في الإسكندرية[١٩]. ولكننا نشاهد خطوطاً عائلية تتطور حتى خارج القبائل التي وطدت نفسها حيث يزودنا كلام محاكمة إيجينيتكوس الإسوكراتيسي[٢٠] ببعض التفاصيل. أما المتنبئ الناجح بوليمينيتوس، "الممدوح في الحرب"، هذا الاسم الذي له دلالته فلم يكن له ولد لذلك اختار ثراسيلوس ليكون خليفته وأوصى له بفنه و"كتبه" ونقوده. استفاد ثراسيلوس من الفن وأصبح مرموقاً جداً وجمع ثروة حتى أن أولاده من زوجات مختلفة أخذوا يتقاضون على هذه الثروة بعد موته لفترة طويلة. ولقد تزوج ثراسيلوس من عائلة نبيلة من جزيرة سيفنوس وكان من الواضح أن هذه الخطوة قد أدت إلى نهاية خط تراثه في التنبؤ. ولكن من الممكن لفن كهذا أن تُنْفَخَ فيه الروح عند الضرورة: فبالنسبة لأم الخطيب إيسكنس فقد صورها ديموسينيس، وهو ألد أعدائه، بشكل كاريكتري على أنها قديسة على شكل ساحرات سريات غامضات. و وفقاً لإحدى الكتابات فإن والدة إيسكنس تنحدر من عائلة من المتنبئين الذين يسيرون وفقاً لتقاليد آمفيباروس حيث كان كلٌ من الأب والأخوة يمارسون التنجيم. ومن الواضح أنها فعلت كل ما تستطيع فعله لتساعد العائلة مادياً وذلك من خلال "مهنتها"[٢١] الخاصة. وفي حوالي العام ٢١٠ قبل الميلاد، أصدر الملك بطليموس فيلوباتور أمالغيب أنى بموجبه كل أولئك الذين يمارسون الأعمال السرية الديونيسية في مصر ليتم تسجيلهم في الإسكندرية ويصرحوا "ممن أخذوا الأشياء المقدسة حتى قبل ثلاثة أجيال."[٢٢] وهكذا فإننا نرى أنه لم يكن على المرء الذي يمارس مهنة معرفة الغيب أن يُضفي على نفسه شرعية بإعطاء اسم أستاذه المباشر فقط، بل كان عليه أن يَعرف من هو جده المباشر و أجداده الروحيين. و يمكن للمرء أن يقارن بنفسه هذه الحقيقة وهي أن مدينة ماكينسيا في الميندر استدعت ثلاث نساء عرافات من مدينة طيبة اليونانية من عائلة إينو ليُنَظِّمن المعابد الجديدة لديونيسس[٢٣]، ووفقاً لهذه الأسطورة فإن النساء الثلاثة هنَّ اللواتي كن يعتَنين بديونيسس.

تظهر المتطلبات التي تقول بأن المعرفة السرية يجب أن تنتقل إلى الأولاد الحقيقين فقط في الكتابات الكيميائية وفي أوراق البردي السحرية[٢٤]. وعلى أية حال فإن هذا الأمر قد تم تطُبيقه مسبقاً على أوائل منظمات الأطباء الإغريق ؛ وإن أشهر هذه المنظمات هي "عائلة" الإيسكيليبيادسين[٢٥]، التي قلما كانت عائلة فريدة من نوعها. هذا ويحتوي قَسَمُ أبوقراط المشهور على التزامات من جانب الطالب وإن هذه الالتزامات تعادل التَبَنْي الحقيقي[٢٦]. وإن القوانين الأبوقراطية التي تجعل من نقل المعرفة مرحلة تمهيدية للدخول إلى عالم الغموض ليست أقل أهمية ؛ فالأشياء المقدسة يجب أن تُعرض على أناس مقدسين ويجب أن لا يُسْمَحَ لعامة الناس بأشياء كهذه حتى يجتازوا المرحلة التمهيدية للدخول إلى طقوس المعرفة."[٢٧]

وبوجه الدقة، فإنه بإمكاننا أن نجد في الوثائق المسمارية هذه الصلة بين المهارات المقدسة وتقاليد العائلة والأمر القضائي بخصوص هذه الممارسات السرية حيث تحتوي هذه الوثائق على معلومات كثيرة عن عدة أنواع من المتنبئين وممارسي السحر. وحتى في المهن العادية، فإن الابن يأخذ فن المهنة عن والده ولذلك يُسمى المهني الحقيقي "ابن سيد الحرفة" (mar ummani) ؛ وقد جعل كوديكس حامورابي تعلم المهنة تبنياً حقيقياً[٢٨]. وقد وُجد على إناء التيسكيويز، الذي تم العثور عليه في إيطاليا، علامة لفنان فينيقي على الشكل التالي: "أبناء سباكين المعادن"[٢٩]. وبنفس الطريقة فإن المتنبئ الحقيقي هو "ابن المتنبئ". ويُقدم المتنبئ نفسه في تعويذته على أنه "الشخص العارف وابن سيد المهنة[٣٠]". وتنص الوصفة لعادات الحكمة الغامضة في نصوص التعويذات على التالي: "تكمن أسرار فن الغيب asipu-art في أن العارف بالأسرار يجب أن يُري غير العارف بها ؛ لأن الذي لا يعرفهما لا يراهما ؛ اجعل ولدك الذي تحبه يلفظ اسم الآلهة أشالوهي و الآلهة نينورتا، واجعله يرى". هذه هي الوصفة من تراث الحكمة المصطفاة في نصوص التعويذة[٣١]، أو بكلمات أخرى: "فإن الحكيم منهم يجعل ولده يؤدي قسماً، ثم يجعله يتعلم"[٣٢] ؛ وهكذا فإن الممارسة الخاصة بتأدية القسم للتأكد بأن المعرفة ستبقى ضمن العائلة كانت شائعة عند السحرة البابليين وامتدت بعد ذلك

إلى الأبوقراطيين. ويخبرنا ديودورس بأن الابن كان يكتسب من أبيه سر فن التنجيم بشكل منتظم عند الكلدانيين[٣٣].

تم العثور في الغرب على مهنة مشابهة لما سبق ذكره حيث يتم في هذه المهنة المحافظة على خط الأب/ الابن وذلك بإعطائه اهتماماً خاصاً حتى عندما تنتشر في مناطق أجنبية؛ وقد كان هذا الحرص جزءاً من نجاح هذه المهنة التي كانت تسمى الشعوذة الأتروسانية[٣٤]. لقد تُرك هذا الفن في روما إلى اختصاصيين من إتروريا المجاورة بشكل دائم. وقد عبَّر تاسيتس عن ذلك بوضوح مُبيّناً أن العائلات الأتروسكانية النبيلة احتفظت بهذه المعرفة لنفسها وتناقلتها ضمن العائلة فقط. ولقد سبق لسيسيرو وأن قَبِلَ هذه الحقيقة من دون جدل[٣٥]. إنَّ مما لا يمكن أن يَقبل الشك أبداً هو أن هذه الممارسة، حتى في حال غياب التوثيق، تَرجع إلى الفترة العظمى في إيتروريا؛ أي أنها ترجع إلى فترة التاريخ القديم. ووفقاً للمؤرخين الرومان، فقد تم رسمياً السماح بممارسة السحر حتى في عصر الملوك. ويخبرنا المؤرخون الرومان كيف أن آتوس نافيوس قد أخذ الحرفة من الأتروسكانيين[٣٦]. وهذا يعيدنا في النهاية إلى فترة تأثير الشرق في إتروريا.

إن الممارسة التي تستند إلى الأسرة يمكن أن توجد في أماكن وثقافات عدة من دون حصول أي اتصال بينها أو إتكال على بعضها. فلقد وصلت أخبار مشابهه عن روابط أسرية ضمن "العائلة" للقساوسة المصريين والسحرة الإيرانيين؛ كما ويمكن أن تكون هذه الروابط موجودة في مناطق أخرى[٣٧]. ومع ذلك فهنالك خاصية لغوية تشير إلى علاقة أضيق بين الاستعمال السامي و الاستعمال الإغريقي حيث يظهر عند الأكاديين و الفينيقيين و العبرانيين من ناحية، وعند الإغريق من ناحية أخرى عبارة "ابن الـ....." للإشارة إلى فرقة مجتمعة[٣٨]: فهناك "أبناء آسكيليبيس"، ولكن هناك أيضاً عند أفلاطون[٣٩] "أبناء الرسامين". أما عبارة "أبناء الفلاسفة" فقد أصبحت شائعة، ولكنها أصبحت تدل فيما بعد على السخرية لحد ما. إن التوافق بين المصطلحات التعبيرية بين الساميين و الإغريق ليس أمراً عفوياً بل أساسياً ويمكن قياسه بالحقيقة، وهي أن عبارة مثل عبارة "أبناء إسرائيل" ما تزال مُعتَرَفاً على ساميَتِها.

وصحيح أننا نجد تعبير"أبناء آكين" عند هومر أيضاً؛ ونتيجة لذلك فإننا نجد أيضاً "أبناء ليديان" ومصطلحات مشابهة عند هيرودتس ومن جاء بعده للدلالة على الأمم. إن هذا التعبير مماثل للممارسات الشرقية[٤٠]. ولقد استعار المسيحيون الغموضيون تعبيراً جديداً متوافقاً مع الطرف السامي[٤١]. ليس لدينا أدله كثيرة مباشرة على الفترات الأولى، ولكن الوضع العام يدعم فرضية النقل الثقافي حتى في ذلك الزمان .

فحص الكبد

تُظْهِرُ طريقة الأتروسكانيين التي تستمد نذر الشؤم بشكل ملحوظ من فحص الكبد التوافق الوثيق لشكل التنبؤ الذي تطور في بلاد الرافدين والذي يمكن شرحه بأفضل الطرق على أنه انتقال "المدرسة" من بابل إلى إتروريا؛ ولقد توطد هذا الشكل من التنبؤ منذ أن تم فك ترميز اللغة المسمارية[١]." وعلى أية حال، فإنه نادراً ما تم مناقشة هذا التوافق ضمن إطار تبادل الثقافات العامة. وفي الواقع هناك مشاكل خاصة للمقارنة حيث أن هناك الوفرة الوافرة من المواد الموجودة في المسمارية، ولكن الكثير من هذه المواد ما تزال بحاجة للنشر النهائي[٢]. ومن ناحية أخرى، ضاعت المواد الأتروسكانية التي يمكن إعادة بنائها من قطع صغيرة فقط من النصوص اللاتينية والإغريقية. وقد أصبح التوافق بين فحص الكبد الأتروسكاني والآشوري واضحاً حالما تم الكشف عن الكبد الأتروسكاني البرونزي في بياسينزا[٣] وتمت مقارنته بالشكل الفخاري للكبد الآشوري في المتحف البريطاني (الشكل رقم ٣)[٤]. ونتيجة لذلك فقد.

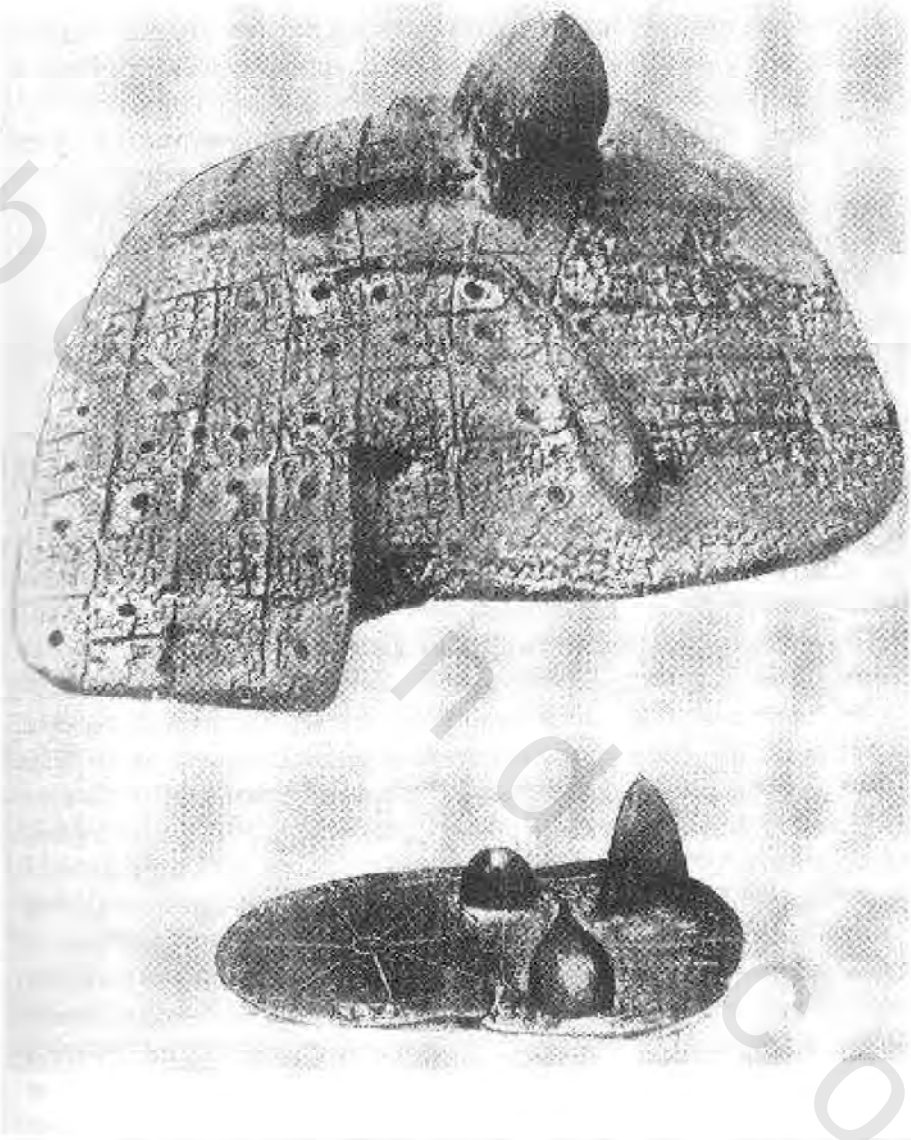

الشكل رقم (٣). من الأعلى شكل للكبد من الفخار عليه كتابة مسمارية من بلاد الرافدين من القرن الثامن قبل الميلاد . في الأسفل شكل من البرونز عليه نقوش أتروسكانية من بياسيترا من القرن الثالث قبل الميلاد .

ظهرت أمثلة أخرى. إن العادة القديمة جداً لذبح الحيوانات تحمل معها تفاصيل لا يمكن رؤيتها أو تصويرها حيث أن الكبد على وجه التحديد وأشكاله المعقدة والمتغيرة تدفعنا للقيام بمحاولات لتفسير عملية التنبؤ. ولهذا السبب فقد تم الشك مرة أخرى بالعلاقة المباشرة بين المعرفة الشرقية والأتروسكانية[٥]. وهكذا فإن بناء نظام خاص لذبح الغنم، ورسم توضيحات لأشكال كبد الغنم سواء من الفخار أو من المعدن ووضع كتابات لهذه الأشكال، وذلك بهدف تقديم شرح عنها، لهو نظام خاص موجود على طول الممر من الفرات عبر سورية وقبرص إلى إتروريا على وجه الدقة. وإن ما يمكن تبيانه هنا هو أن كلاً من الشكل الآشوري والشكل الأتروسكاني لا ينبعثان عن الطبيعة بطريقة متشابهة[٦]، وهذا يعني أنهما لم يُشتقا من المشاهدة بشكل مباشر و إنما من معلومات تقليدية عامة.

تُعْتَبَرُ أشكال الكبد دليلاً مادياً آثارياً على انتشار فحص الكبد في بلاد الرافدين. وبالإضافة إلى بلاد الرافدين فقد وُجدت هذه الأشكال عند الحثيين في آسيا الصغرى منذ العصر البرونزي، ووجدت في تل كلخ وتل الحج وفي أوغاريت في سورية وفي حازور ومجدولين في فلسطين كما وجدت في قبرص أيضاً. ولقد وجدت ممارسة فحص الكبد الآشورية في تارسوس في كيليكيا في عهد الآشوريين[٧]. وبالمقارنة فإن تاريخ الأمثلة الأتروسكانية، المعروفة حتى الآن، يرجع إلى القرن الثالث والثاني قبل الميلاد. ومع ذلك فعلينا أن لا نستبعد الفرضية القائلة بأننا نتعامل مع علاقات في الأزمنة الهيلينية[٨]. أما ميزان الاحتمالات فيعارض هذه الفرضية. ففي ذلك الوقت كان العصر الذهبي لأتروريا يَكْمُن في الماضي البعيد. وكما هو ظاهر من نظام التأريخ عند الأتروسكان، فإن التقاليد الداخلية للنظام الأتروسكاني تعود للقرن السابع[٩]؛ أي تماماً إلى تلك الفترة التي انعكست فيها عظمتها من خلال وجود عدة مواد شرقية[١٠] مستوردة. وقد ضمنت التقاليد العائلية للعرافين المختصين بفحص الكبد الاحتفاظ بالمعرفة دون تغيير. وإذا كانت هذه المعرفة قد وصلت من مكان أخر، فمن الواجب أن تكون قد وصلت في مرحلة مبكرة وأنها كانت ما تزال في طور الاستقبال، أي قبل أن يثبت نظام التأريخ.

أكد الطرف الإغريقي هذه الحقيقة. فيبدو أن فحص الكبد لم يجد مكاناً له في قصص الملحمة الهومرية القديمة، ولكنه ظهر في النسخة النهائية التي هي بين أيدينا والتي يرجع تاريخها إلى العام ٧٠٠ قبل الميلاد حيث قاد كالكاس، الذي هو عرّاف أغاميمنون الذي هو أفضل "العرافين بالطيور"، الجيش بفضل هذا الفن[١١]. وجاءت الإلياذة على ذكر ثتيوسكوس، العرّاف بالأضحية، في الكتاب الرابع والعشرين؛ وقد كان لهذا الرجل دوره في الأوديسة[١٢]. وبالطبع فهناك طرق عدة لممارسة التنبؤ عند تقديم الأضحية؛ وكان أبرز هذه الطرق ملاحظة وجود الكبد. وبالاستناد إلى التفكير الإغريقي[١٣] المنطقي فإن أسم توسكي الأتروسكاني كان، نتيجة لذلك، مُشْتَقاً من ثيوسكوس، أي العراف بالأضحية. أما التصوير الإغريقي، فيُظْهِر المتنبئ وهو يفحص الكبد منذ حوالي العام ٥٣٠ قبل الميلاد[١٤]. لقد تطور فحص الكبد بشكل كبير وأصبح هو الشكل المهيمن على التنبؤ في الأدب الإغريقي بعد الحروب الفارسية. ولقد علمنا من أفلاطون بأن التنبؤ بفحص الكبد قد تمتع بمكانة أعلى من التنبؤ بالطير[١٥].

وإنه لمن دواعي السرور أن يكون هناك تقليد خاص يشير إلى كيليكيا و قبرص حيث أدعى قِسٌ قبيلة التاميرادي في بافوس بأنه أحضر هذا الفن معه من كيليكيا وأنه أعطاه للسينيرادي هناك[١٦]. وبذلك احتل التنبؤ بالكبد مكانة خاصة[١٧] عند القساوسة العرافين من كاريان تيلميسوس. ومن المحتمل أن يرشدنا ما سبق ذكره إلى الحقبة التي ذهب فيها المرتزقة الكاريون إلى الشرق وهذا بالضبط ما فعله الإغريق من بعدهم.

إن كل ما نعرفه الآن هو أن أشكال الكبد لم تصل إلى مناطق أبعد من بلاد الإغريق نفسها. كما أن هناك موضوعاً آخراً مثيراً للفضول يتعلق بفحص الأحشاء ألا وهو "وجه همبابا"؛ إنه وجه إنسان غريب ومخيف مصنوع كله من وصلات قطع معوية[١٨]، هذا الوجه الذي أصبح مألوفاً من خلال الاكتشافات التي تمت في بلاد الرافدين. أما المثال المميز فقد عُثر عليه تحت الأرض في معبد في حصن كورتين؛ وفيه يبدو واضحاً وجود الحرفيين الشرقيين والمتنبئين من القرن الثامن وذلك من خلال الفن المعماري وآثار الأضاحي الخيرية[١٩]. وقد تم

أيضاً تقليد وجه همبابا في بعض الأقنعة المثيرة للرعب في معابد أورثيا في إسبارطة، مما يؤكد انتشار أدوات فن التنبؤ الشرقي في الغرب .

وإن ما هو أكثر أهمية عما سلف هو ذلك التوافق الملحوظ بين المصطلحات البابلية والمصطلحات الغربية لفحص الكبد. فلقد ضاعت اللغة الأتروسكانية، على الأقل بالنسبة لنا، وكان على اللغة الإغريقية واللاتينية أن تحل محلها. أما بالنسبة للأنظمة فليست على درجة كبيرة من التطابق، فهناك نظام صارم لفحص عشرة أجزاء من الكبد في المدرسة الآشورية[٢٠] الأمر الذي ليس له ما يعادله في الغرب. وعلى أية حال، فهناك سطر كامل من المصطلحات الإغريقية التي تبدو وكأنها ترجمة من الأكادية. والحالة هنا كما هي في أماكن أخرى تقول إن للكبد "بوابة" و "رأساً" و "مجرى" و"نهر"[٢١]. ولو نظر المرء هنا إلى تسميات أشكال الفصوص المختلفة للكبد كنوع من اختبار رورشاك، فإن أول ما يتبادر إلى ذهنه التأويلات والإسقاطات المختلفة. فقلما يكون التلاقي بين الشرق والغرب صدفة. وبالإضافة إلى ذلك، هناك منطق ثنائي خاص في النظام القائم والمرئي عند الأكاديين والإغريق ؛ وإن الأهم من ذلك كله، هو وجود هذا النظام في العلوم عند الأتروسكانيين اللاتين. فهناك أجزاء "مفضلة" وأجزاء "عدائية" في الكبد ؛ وطبقاً لذلك يتغير معنى الملاحظات، فكل ما هو طبيعي هو حسنٌ و يكون في الجزء المفضل وكل ما هو مُشَوّه فهو في الجزء العدائي والعكس بالعكس[٢٢]. وبشكل عام، فإن البراهين الأقل مصداقية على تداخل العلاقات هي براهين ذات ارتباطات خيالية، فإن فقدان "الرأس" يشير مثلاً إلى مصيبة تحل بالقائد أو الملك أو البلد، وأما فقدان رأسين فيشير إلى قوتين متنافستين. وهكذا فإنه حتى هذه الموازاة تربط تقارير بلاد الرافدين الحقيقية بمشاهد خيالية نظمها الشعراء الرومان[٢٣].

إن ما يبدو من أقوى الحجج لمحور الآشوريين - الأتروسكانيين، ألا وهو الاستعارة اللغوية، إنما هو في الواقع من أكثر الأشياء غير المؤكدة. لقد رأى ألفرد بويسير، الذي هو أول من عمل بشكل ممنهج على النصوص البابلية فيما يتعلق بموضوع الكبد كنذير شؤم، أنه قد تمت كتابة الكبد في هذه النصوص بشكل ثابت بالرموز السومرية H A R ؛

وعلى الفور استنتج أن هذه الرموز كانت جذراً للكلمة اللاتينية haruspex، أي التنبؤ بفحص الكبد التي كان جزءها الأول يستعصي على الشرح دائماً، وأما الجزء الثاني فيجب أن يعني "متنبئ لـ". يطلق العاملون في مجال "التنبؤ بالكبد" استعمال هذه العبارة للدلالة على أولئك المختصين الأتروسكانيين الذين كانوا يؤدون مهمتهم بشكل رسمي في روما[٢٤]. وبقدر ما يكون هذا موحياً بقدر ما يكون مدهشاً، و لكن الشكوك الحقيقية يجب أن تبقى. حتى ولو بدا لنا بأن انتقال المعرفة من بلاد الرافدين إلى إتروريا لا يدخله الشك، فلم تنتقل الكتابة المسمارية إلى أي مكان في الغرب. وعلى أية حال، فإن شيئاً مثل HAR لا تلفظ على الأغلب في الإرشادات الشفهية. و يُستعمل الرمز HAR في الأكادية كرمز لما يمكن أن يعطي صوت amutu[٢٥]. وعلاوة على ذلك، فإن لدى الأتروسكانيين، وخاصة المختصين الحقيقيين، كلمتهم المختلفة كلياً لهذا النوع من المتنبئ، إنها netsvis[٢٦]. فكيف يمكن للرومان أن يأتوا باسم سومري لشيء كان يمارسه الأتروسكانيون؟ وهكذا يجد المرء نفسه مجبراً على أن يأخذ جذر بويسير للكلمة كمثال لتوضيح كيف أن التجانس اللغوي الذي يحصل بالصدفة يمكن أن يُضَلّلنا. وربما لا تكون أقل دلالة على أن الإشارة الالغريبة.وجب على المتنبئ تفسيرها كانت تُسمى في الأكادية tertu وجمعها teretu؛ ومن الواضح أن هذه الكلمة تشبه كلمة teirata/terata التي كان يتعامل معها المتنبئ تيريسيس[٢٧]. ولكن حتى هنا فإنه لا يمكن استبعاد الصدفة الغريبة .

يكتب سيسيرو فيقول إنه من غير المعقول أن يكون قد التقى المتنبئين الأتروسكانيون والإغريق والمصريون والبونيك ليتشاوروا ويتوصلوا إلى إجماع حيال مشكلة فحص الكبد؛ فهم لن يتفقوا لأنه "لا يوجد علم واحد لأي منهم" وإنما وجهات نظر متشعبة ومذهبية[٢٨]. أما المشككون فبإمكانهم التوصل إلى نتيجة مفادها أن كل هذا الشيء أمر تافه. وعلى أية حال، يجد المؤرخون أن أوضح دليل على انتشار الثقافة يَكْمُن في توافق التفاصيل التي تبدو أكثر الأشياء عبثية وغير طبيعية، ونتيجة لذلك فإن هناك احتمالاً ضئيلاً جداً لوصول تفاصيل مستقلة. ومن المتوقع بشكل مؤكد أن يزحف

التحريف الفردي إلى هذه التفاصيل ؛ وبالطبع فإن الأشكال الفردية تحاول أن تُكيِّفَ نفسها مع سياق الثقافة السائدة. وهكذا فإن التنجيم الإغريقي يواصل انطلاقته المتميزة إلى ما هو أبعد من الأساس المتلازم مع الصورة، وذلك دون الحاجة إلى نظام المواد الموجودة عند الدارسين الأتروسكانيين، التي حافظت على الكثير من أصولها الشرقية. ومع ذلك فإن التشابهات تدل على مصدر مشترك أو علاقة تاريخية تربط الأشكال الفردية مع بعضها البعض. وهكذا يمكن اعتبار انتشار فحص الكبد واحداً من أوضح الأمثلة على الاتصال الثقافي في مرحلة تأثير الشرق. كما ويجب أن تكون قضية التفاهم بين الشرق و الغرب على مستوى عال و تقني لحد ما. إن حركة المهاجرين الملهمين هي المتطلب الطبيعي لهذا الانتشار و الدور الدولي الذي يجري وراء المتخصصون الذين كانوا مدينين لآبائهم/ أساتذتهم بفنهم. ولن نتوقع أن نجد الكثير من البقايا التعريفية الآثارية لهؤلاء الناس أكثر من الأمثلة الاستثنائية كقالب الكبد أو وجه همبابا .

ما يزال المتنبئون المهاجرون يتركون بصمتهم في الأسطورة الإغريقية. فالمتنبئ موبسوس هو أحد الأسماء التي تربط الشرق ببلاد الإغريق. كان موبسوس، طبقاً للنسخة الإغريقية المُثبتة في الهيسيوديك ميلامبوديا[٢٩]، ابن أخ تيريسيس. لقد أسس موبسوس التنجيم في كلاروس أولاً ثم هاجر إلى كيليكيا أخيراً حيث أخذت مدينة موبسويستا اسمها منه. من المدهش أن يظهر اسم موبسوس في تقرير للحثيين باسم موكسوس[٣٠] ؛ وبالإضافة إلى ذلك فإن الكتابة ثنائية اللغة المشهورة في كاراتيبي في كيليكيا في القرن الثامن تقدم لنا ملك آزيتاوادا على أنه من "بيت الموبوس"[٣١]. ويشير النص اللوياني الهيروغليفي إلى الاسم على أنه موكسوس، وهو اسم تم الاحتفاظ به في التراث الليديانى[٣٢]، بينما يظهر اسم موبسوس في النسخة الفينيقية كـ مبس (mps). أما كيف يمكن لنا أن نجمع هذه الأدلة لإعادة بناء التاريخ الحقيقي لملك واحد هو موبسوس وذريته في آسيا الوسطى فهذه مشكلة لا يمكن مناقشتها هنا. يكفي أن نُبيّن أن الأسطورة الإغريقية استعملت اسماً من التراث الحثي الكيليكي للتعريف بالمنجم العظيم الذي ارتبط اسمه بكيليكيا من وجهة نظر الإغريق. ويجب

أن لا ننسى الأصول الكيليكية للمنجم بافوس. ويأتي موبسوس بعد المنجم أمفيلوكوس مباشرة حيث يحمل الأخير اسماً إغريقيا بحتاً، كما وأنه ابن أمفياروس. لقد تم تكريم موبسوس وأمفيلوكوس معاً كأبطال مؤسسين لتنجيم مالوس في كيليكيا، وهو المكان الذي يلتقي فيه التراث الشرقي مع التراث الإغريقي بطريقة خاصة[٣٣] مرة أخرى. وعلى أية حال، فإن الأسطورة الإغريقية توطد الصلة بين الإغريق و كيليكيا حول شخصية المتنبئ المهاجر بوجه الدقة. أما تارسوس فهي ليست بعيدة حيث تم العثور هناك على خزف إغريقي و وثائق مسمارية تحتوي على فن التنبؤ. وأما النص الهيسيودي عن موبسوس فيمكن أن يقترب في الزمن من الكتابة الكاراتيبية، أي من الفترة الآشورية. وبذلك يُقدم انتشار فن التنبؤ من الفرات إلى بلاد الإغريق والأتروسكانيين، كما تشير إليه الأدلة الأخرى، خلفية ذات مصداقية لتطور أسطورة الموبسوس. وصحيح أن السرد الإغريقي عَكَسَ الظروف بحيث جعل موبسوس الإغريقي يهاجر إلى كيليكيا وذلك على الرغم من آن بيته، وفقاً للوثائق المحلية، قد تأسس في كيليكيا وليس في بلاد الإغريق. وإنه لمن دواعي السرور أن نجد في الأسطورة موبسوس وهو يتغلب على كالكاس "أفضل المتنبئين بالطيور" في منافسة المتنبئين. وعلى آية حال فقد تم كبت آصل هذا الفن الأجنبي.

ويجب أن لا ننسى أن التشكيلة الكاملة لكل أشكال التنبؤ الأخرى كانت شائعة عند الحثيين والساميين الشرقيين و الإغريق. ولقد لعب التنبؤ بالطيور دوراً بارزاً في بابل وذلك إلى جانب تفسير نُذر الشؤم الأخرى[٣٤]. أما الأنواع المختلفة من السحر مثل صب الزيت على الماء أو رش الطحين على السوائل[٣٥] فقد شكلت فناً خاصاً. وذكر اسكيليس في أحدى المناسبات شيئاً عن "صب الخل و الطحين في نفس الكأس" ومراقبة حركتها. أما فارنيل فأخذ ما سبق ذكره كمثال واضح على تأثير بلاد الرافدين[٣٦]. ولكن هذه الممارسات لم تكن سائدة كالتنبؤ بالكبد. والحقيقة هي أن كلمة lekane إنما هي كلمة آرامية ؛ ولربما تكون صدفة أخرى .

إيداعات التأسيس

تنتشر عادة تقديم الأضاحي بمناسبة إنشاء الأبنية في موقع البناء على نطاق واسع؛ وإن هذه العادة معروفة جيداً لدى كل من علماء الأجناس وعلماء عادات الشعوب وتقاليدها. ولكن هناك أشكال ثقافية معينة يمكن أن تتطور إلى تقاليد ثابتة. لقد ظهرت أشكال مختلفة لهذه العادة في الشرق الأدنى و ذلك طبقاً للزمان و المكان حيث توجد نصوص ومكتشفات آثارية وثيقة الصلة بهذا الموضوع. فهناك أشكال لرجال من الحرس مطمورة تحت الأبنية؛ وهناك طاولات حجرية عليها كتابات مطمورة بنفس الطريقة. وهنالك أيضاً القليل من طقوس الأضاحي الخاصة التي تتضمن الحيوانات وسكب الخمرة عليها تكريماً للآلهة. وبالإضافة إلى ذلك، فقد كانت عادة دفن الأشياء الثمينة وأنواع مختلفة من المعادن الثمينة والأحجار الكريمة تحت المعابد و القصور[١] منتشرة على نطاق واسع بين الآشوريين. وقد تم الاحتفاظ بنص حثي ذي صلة بالطقوس التي تتم ممارستها عند بناء بيت جديد. فهو يُبين كيف تم إيداع الذهب والفضة والبرونز وأشياء أخرى في أماكن معينة وذلك لترافق الصلوات[٢].

لقد وُجد هَدْي التأسيس في العالم المينوني بطريقة مشابهة لما سبق ذكره ولكنه لم يكن متطابقاً. فقد وُجدت حصى ملونة من البحر وأواني صغيرة وأختام، وفي إحدى الحالات عظام حيوانات تحت الأرض أو تحت عتبة غرفة مقدسة[٣]. هذا وقد ظهر للعيان أسلوب الإيداع الشرقي، الذي يتألف من أشياء برونزية مدفونة عن سابق قصد، في المعبد الرابع في أواخر العصر البرونزي في لارناكا (كيتيون) في قبرص. وفي الحال، تذكر المنقبون عادة أهالي بلاد الرافدين و ذلك على الرغم من أن سكان لارنكا في ذلك الوقت كانوا من الميثينيين الإعراق[٤].

أما الاكتشاف الذي جاء بعد هذا، والذي هو أقرب إلى القداس الإغريقي، فيرجع تاريخه إلى العام ٨٠٠ قبل الميلاد في مدينة كريت حيث قامت عائلة من صُيّاغ الذهب، التي هاجرت من سورية، بدفن وديعة على شكل قطع من الذهب وقطع نصف مشغولة ومجوهرات أخرى في قبر دائري تم إعادة استعماله في كنوسوس وتم تكريسه لاستعمالاتهم

الخاصة[٥]. وبذلك نجد عادات دينية قد تم استيرادها من الشرق وجاء معها المهارة المهنية للاختصاصيين الأجانب.

وفي الفترة التي تلتها، تم التنقيب عن وديعتين غنيتين تحت معبدين شدّتا انتباهاً عظيماً حيث وُجدت إحداهما على جدار، وجزئياً تحت جدار، أقدم معبد للآلهة أرتيمس في مدينة ديلوس؛ ويرجع تاريخ هذه الوديعة إلى حوالي العام ٧٠٠ قبل الميلاد. لقد تم دفن الأشياء الميسينية الصغيرة و الثمينة والمهشمة جزئياً، التي تعود إلى نفس الفترة الزمنية، مع بعضها بعضاً. ووجدت حفرة تحتوي على بعض عظام الحيوانات والفحم وآثار من الأضحية ذات صلة وثيقة بهذا الموضوع [٦]. أما الوديعة الأخرى التي تعود إلى معبد الآلهة أرتيمس في إفيسوس، فإنها غنية وذات طابع خاص حيث أنها تتألف من حوالي ألف موضوع؛ ولقد بقيت هذه الوديعة مشهورة ومثيرة للجدل لأن تاريخها يرتبط مع تأريخ أقدم عملة صغيرة. تراوحت خيارات تأريخها ما بين الأعوام ٦٥٠ –٦٣٠ والعام ٦٠٠. ومع ذلك فإن التنقيبات الحديثة سَلَّمَتْ بأن تاريخ هذه الوديعة يعود إلى المعبد الذي بناه كرويسس حوالي العام ٥٦٠ قبل الميلاد. لقد تم التعرف على إيداعات مشابهة من الأشياء الثمينة في أحد المعابد في بيراكورا؛ كما تم التعرف على أشياء في معبد بوسايدن في إسثميا وعلى أشياء في معبد آثينا في برين[٧].

أما عطاءات التأسيس التي اكْتُشِفَتْ في حصن كورتين فهي أكثر بساطة ومن نوع مختلف. فقد تم الكشف عن حفرتين بجانب جدار المعبد الذي كان يحتوي على بقايا عظام حيوانات وبعض أنواع السقاية، التي كانت على شكل معجون خضروات، وأواني صغيرة متنوعة؛ لقد كانت كل هذه الأشياء مغطاة بألواح حجرية وفوقها نار موقدة[٨]. إننا نجد هنا أن شعيرة تقديم القرابين قد جاءت على شكل ألفناه عن النصوص الإغريقية واللاتينية المتأخرة حيث تُوْضَعُ الأضحية "في الحفرة" (bothros) أولاً، ومن ثم تُغَطّى هذه الحفرة وتُوضَعُ علامة دائمة وحجرة لرسم الحدود، أو تُنصَب الآلة فوقها[٩]. لقد تم التعرف على حفرة واحدة من عطاءات التأسيس تحت أحد أماكن وضع الكنوز، وكانت هذه الحفرة مغطاة بدقة قبل تشييد البناء الذي كان يسمى سابقاً **المعبد د**، وهو في معبد الحيرة في ساموس

ويعود تاريخه إلى الأعوام ٥١٠ - ٥٠٠ قبل الميلاد[١٠]. وجد علماء الآثار الذين نقبوا عن المعبد الذي وجدوه في الحالة الأولى في كورتين أن الفن المعماري، الذي وضعوا له تاريخ حوالي عام ٨٠٠، يشبه أساليب المملكة الحثية الثانية؛ وأشاروا إلى أصول مشابهة لعطاءات التأسيس. ولقد ثُبت أيضاً تقديم الحيوانات كأضحية وكذلك السقاية كهدي تأسيس في بلاد الرافدين ولكن بشكل أقل تحديداً[١١].

يُقَدّم لنا دفن الأشياء الثمينة الصغيرة على شكل قطع معدنية دليلاً أكثر دقة على انتشار عادات أهالي بلاد الرافدين بقوة وثقة بين الإجيين؛ ولقد ارتبطت هذه العادة بهجرة الحرفيين إلى كريت حوالي العام ٨٠٠. ومما هو مُسَلّمٌ به أن هذه العادة لم تُحْضِرْ معها الكثير من العالم الروحاني؛ فهي لم تُحْضِرْ معها هياكل الآلهة ولا الأساطير. كما وأن النصوص الشرقية[١٢] نفسها لم تعمد إلى شرح هذه العادة. ويكفينا هنا الاعتقاد الموجود في العادة نفسها وهو أنه يجب على العطاءات أن تكون من الأشياء الثمينة التي ستؤمن الملكية الدائمة والطمأنينة وسلامة البناء. على أية حال بَيّنت النصوص الشرقية شيئاً واحداً ألا وهو: مهما فعل البَنّاء كي يحصل على الصدارة، فإن نجاح الأساس "يعتمد على رسالة فن المنجم" حيث لا يمكن التخلي[١٣] عن الملهم المتخصص. و قد يُقاد المرء إلى التصور بأنه ربما كان هناك عمال من شمال سورية شاركوا في تشييد البناء في كورتن؛ و كذلك الأمر مع بدايات بناء معبد ديلوس أو يوفيسوس. فبالإضافة إلى النقاشين على الحجر و النجارين، كان هناك حرفيون من نوع آخر، إنهم المتنبئون المهاجرون المستعدون لتقديم المساعدة عند الضرورة.

التطهير

على الرغم من أن التناظر في فحص الكبد بين بلاد الرافدين والأتروسكانيين كان وما يزال موضوع نقاش، فإن التشابه بين السحر الشرقي وطقوس التطهير عند الإغريق، لايقل أهمية عنه مع أنّه قلما تم التطرق إليه بالتفصيل. وعلى أية حال، كان الوضع متوازياً بخصوص عادة التطهير التي كانت منتشرة في الفترات المتأخرة ولم تظهر في عصر هومر؛ وتلك حقيقة

لاحظها مُسبقاً المعلقون القدماء على هومر. ولقد أخبرتنا ملحمة إيثيوبس الدائرية عن تطهير أخيل بعد أن قتل ثيرسيتس[١]. وعموماً فقد تم اعتبار ذلك مرحلة حديثة في تطور الحضارة الإغريقية إذ إن الاهتمام بالتطهير هو من صفات التاريخ القديم[٢]. ومما تم التسليم به هو أن تأثير المتنبئ في ديلفي كان فعالاً في هذا المضمار المتنامي. وتم توجيه الانتباه إلى الاتصال المحتمل مع الشامانية السيثيانية وذلك منذ ظهور عمل كارل ميلي[٣]. أما لويس ريتشارد فارنل فقد قام منفرداً بفحص دقيق لدور البابليين، و وجد فروقاً هامة بين الشرق والغرب حيث تبين له أنه من غير الممكن استعارة نظام التطهير الإغريقي من البابليين. وعلى الأقل، فقد أصرّ فارنيل على أنه من غير الممكن لبعض الاستعارات أن تكون قد سبقت هومر[٤]. لقد كان لآراء فارنل هذه تأثير مهدئ على دارسي الهيلينية؛ ولكن يتوجب على المرء أن يَتَيَقَّن من أن فارنل قد وضع هومر في القرن العاشر و بذلك ترك القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد مفتوحين لكل أنواع التأثيرات. وبالفعل كان فارنل أول من اعترف بوجود هذه المؤثرات في بعض الحالات.

وبالاعتماد على المصادر المتوفرة لدينا، فإننا نجد أن الوضع هنا مشابه لوضع فحص الكبد. فمن الجانب الإغريقي، فإننا نعتمد على تلميحات منعزلة ومراجع مختصرة وغالباً ما يكون علينا الاعتماد على تقارير من فترات لاحقة. و بالمقارنة فإن لدى الأدب الأكادي مجموعة كتابات كاملة من نصوص طقوس السحر كانت معروفة منذ زمن بعيد، مع أن بعضها مازال ينقصه التحرير الموثق[٥] في بعض الحالات. وغالباً ما كانت هذه النصوص ثنائية اللغة أي أنها نصوص سومرية/ أكادية وهذه حقيقة تُعبر عن عصرها. لقد تم جمع هذه النصوص بطريقة منظمة في مكتبة آشور بانيبال. وقد وصلت الاشتقاقات حتى تارسوس[٦]. وهناك نوعان رئيسيان يمارسان هذه الطقوس وهما: المتنبئ (baru) وهو المسؤول عن التنجيم، والكاهن - الساحر الحقيقي (asipu) الذي كانت مهنته الأساسية شفاء المريض[٧]. وسيتركز محور النقاش هنا على الكاهن الساحر.

يبدو أن ممارسة التطهير عند الإغريق كانت تركز على تطهير المجرمين من ذنب الدم: فالدم يطهره الدم[٨]. ومع أن ايسكيولوس لم يقدم إكسيون كنموذج أصلي[٩]، فإن

المثال السائد لهذا التطهير هو أوريستس. ففي هذه الحالة، يقدم لنا ايسكيلوس مزيداً من المؤثرات التصويرية عن كيفية تنفيذ الإجراء العملي للتطهير: فلكي "تغسل الإثم"، يجب ذبح خنزير صغير بطريقة ينسكب فيها دمه فوق الشخص الآثم. ومن ثم يُغسل الدم بماء جار؛ وبهذه الطريقة فإن الإثم "قد تمت إزالته بالتطهير وذلك بذبح خنزير صغير"[١٠]. ونعلم مسبقاً من الإلياذة، أنه يجب التخلص من الماء القذر (lymata)[١١] بعد ذلك. و هناك جرس (krater) أبيولي في متحف اللوفر؛ يقدم لنا هذا الجرس تصويراً مؤثراً عن تطهير أورستوس المُسْتوحى مباشرة من النص الإيسكيلي و فيه يظهر أبولو بنفسه وهو يحمل الخنزير فوق رأس أوريستس مباشرة، بينما يكون الآخر جالساً؛ ثم يتدفق دم الخنزير على رأس أوريستوس مباشرة. وبعد ذلك يختفي الدم. وبهذه الطريقة " يصبح من الممكن غسل"[١٢] الإثم.

كان فارنيل مصيباً[١٣] عندما لم يجد دليلاً في بابل على هذا النوع من تطهير الدم بالدم. وعلى أية حال، فهناك تصوير درامي موجود على رسوم مزهرية أخرى من آنية فخارية عُثر عليها في كانيكاتيني يصور نفس طقس التضحية بالخنزير، ومن ثم حَمْله فوق رأس الشخص الآثم وذبحه بعد ذلك ونقع المريض بالدم. ومع ذلك فإن الهدف في هذه الحالة ليس تطهير الآثم و إنما تقديم العلاج لبنات بروتس من جنونهم[١٤]. وأما سبب هذا الجنون فسببه اعتداء الفتيات على بعض الطقوس، وهذا السبب يختلف باختلاف نسخ الأسطورة. أما الشفاء فهو موجّه ضد المعاناة الظاهرة التي نتجت عن الاعتداء. فلو أجرينا مقارنة بين هذه الحالة وحالة أوريستوس، فإن الأخيرة ستأخذ معنى مزدوجاً. لقد أصيب أورستوس بالجنون أيضاً، وإنه يعاني من مرضه كما هو ظاهر. وهكذا فهل هذه الحالة هي حالة تكفير عن الذنب أم هل هي شفاء يمكن الحصول عليه من خلال طقس التطهير؟ إن إثارة السؤال تُظهر عدم أهمية التمييز بين الحالتين. لم يتم في المجتمعات القديمة التمييز الواضح بين الأمراض الاجتماعية والأمراض الجسدية/النفسية، وكانت إدارة العدالة والشفاء متداخلتين؛ وقد لاحظ علماء الإنسان هذا الموضوع حديثاً وناقشوه. إن الاعتداء هو مصدر المرض، والمرض هو نتيجة الاعتداء سواءٌ أكان ذلك في المجال الشخصي أو الاجتماعي أو الديني. وحتى في اللغة الإغريقية

فإن كلمة nosos أي مرض مرتبطة بكل من الاضطرابات النفسية والاجتماعية، والأمراض والمعاناة[١٥]. أما تأثير العلاج الذي يستطيع المتخصص "العارف" أن يطبقه، فإنه ليس مكتملاً كلياً. وبعبارة أخرى، فإنه من الممكن تماماً فهم تطهير أورستوس على أنه شفاء من المرض حتى قبل أن جاء يوريبيدس بهذا التفسير على المسرح في مأساته أورستوس. كان أورستوس مجنوناً ومذنباً و كان عليه أن يتعافى على هذين المستويين. وهكذا يصبح من الصعب تمييز الحدود بين البابليين والإغريق.

لقد وُجِدَ في نص ثنائي اللغة يتحدث عن الطقوس في مجموعة "شياطين شر المرض" (Asakki marsuti) الوصفة التالية لأحد المشعوذين المتخصصين بطرد الأرواح. لقد قُدمت هذه الوصفة كأمر صادر من إله السماء آنو إلى ابنه ماردوك :

> [خذ] خنزيراً رضيعاً [و . . على] رأس الرجل المريض [ضعه (؟) و] أخرج قلبه وفوق قلب الرجل المريض [ضعه] ، [رش] دمه على جوانب الفراش [و] قسّم الخنزير فوق أطرافه و انشره على الرجل المريض، ثم اغسل ذلك الرجل بماء صافٍ من الأعماق [Apsu] واغسله حتى ينظف واحضر إلى جانبه وعاءً [و] شِعْلَة وضَعْ مرتين سبعة أرغفة مخبوزة في الرماد أمام الباب الخارجي، وقدّم الخنزير كبديل له، وقدّم اللحم و الدم كأنه دمه: هم [الشياطين] سيأخذونه، القلب الذي وضعته على قلبه. قدّمه على أنه قلبه: سيأخذونه. [فراغ] [إن ال] خنزير يمكن أن يكون بديله ... يمكن للروح الشريرة أي الشيطان الشرير أن يقف جانباً! يمكن للروح الطيبة أي الشيطان الطيب أن يحضر.

إن هذه الشعيرة ليست متطابقة مع الشعيرة التي سنراها في التصوير الإغريقي لأورستوس وبروتيدس؛ أما التشابه فلا يمكن إنكاره، وذلك من حيث ظروف المرض والمختص العالم والخنزير الأضحية والذبح و الاتصال بالدم وما يتبعه من تنظيف بالماء. وأما الشعلة وإناء البخور فينتميان إلى أجهزة التطهير لدى القساوسة الإغريق[١٧] أيضاً.

وأما خصوصية نص بلاد الرافدين فتكمن في التأكيد على الاستبدال الذي سنعود إليه لاحقاً. و في هذا الجانب، فإن فكرة الاستبدال تشبه لحد كبير الشعائر التي وصفها أوفيد في سياق مهرجان كارمينتاليا الروماني. إنها شعيرة ضد الطيور السحرية striges التي يُقال إنها تتغذى على الأطفال في الليل، أي أنها في الحقيقة ضد أمراض الأطفال. ومرة أخرى تقع التضحية بخنزير رضيع وتترافق معها صيغة الاستبدال بشكل ظاهر؛ لقد قامت الآلهة كارمينتاليا بنفسها بهذه الشعيرة كنموذج أسطوري: خذ القلب للقلب والأمعاء للأمعاء ونحن نعطي هذه الحياة لشخص أفضل[١٨]. هل هذه حالة من التوازي العضوي الذي ينبثق من الأفكار البدائية العامة للعقل الإنساني، أم أن الحالة ببساطة أنه في العالم السفلي للساحرات و السحر تكون العوائق الثقافية أكثر سهولة على الأختراق مقارنة بما هو موجود في مستوى الأدب الرفيع؟

إذا نظرنا إلى وضع أورستوس على أنه حالة مرض (nosos)، يبدو أنه تم تصوير المرض على أنّه شخص ما إلى درجة ملحوظة حيث وُصِف المرض على أنه هجوم قامت به الشياطين. وتم تصوير الغاضبون كوحوش مفترسة و "كلاب" تريد مَصَّ دم الضحية واستنزاف الدم وقوة الحياة منه. وإنه لمن الواضح جداً، أنه سبق و أن رأينا آن هومر قد وصف المرض في أعماله على أنه "هجوم يقوم به الشيطان البغيض"[١٩]. أما الساحر الذي سخر منه مؤلف رسالة أبوقراط التي جاءت تحت عنوان *في المرض المقدس*، فيتحدث أيضاً عن هجمات(ephodoi) الشياطين أو الآلهة. إن مفهوم الشياطين والسَّلّابين النهابين وأكلة اللحوم الذين يسببون المرض هو مفهوم عام إن لم يكن أساسي في سحر الشفاء في بلاد الرافدين، ولكنْ هناك أيضاً مفهومٌ أقل تشخيصاً من لعنة المجرم، وهذه اللعنة التي يجب التخلص منها من خلال شعيرة "غسل البيت"[٢٠].

وعلى الرغم من أوجه الشبه هذه، يبدو، على أية حال، أن الوظيفة الخاصة للتكفير عن الجريمة، التي كان أورستوس نموذجاً تطبيقياً لها، هي من نظام التطهير الذي كان سائداً عند الإغريق القدامى وليس مجرد استيراد من البابليين. لقد كان فارنل على حق لهذا

الحد. ولكن هذا لا ينفي الاتصالات الثقافية بل يشير إلى عكس ذلك حيث نظّم قانون الحكومة ذنب الدم في بلاد الرافدين منذ العصور القديمة وهذا ما تُثبته رموز القانون وبذلك لم تبقَ أية مشكلة. و هناك المعاناة الفردية التي لا تتأثر بالقوانين، على أية حال، تلك الأمراض المتكررة التي سببها ذنب ما و التي لا يمكن تعريفها وفق شروط قانونية أو بفعل شيطان جن جنونه. فكان هذا مجال الممارسين و القساوسة الذين يطردون الأرواح الشريرة. أما عند الإغريق القدماء فإن الممارسة المناظرة مع تلك التي في بلاد الرافدين لا تلبي الحاجة الخاصة للمعاناة الظاهرة فحسب، وإنما تملأ فراغاً يغطي "المرض الاجتماعي"، أي إزعاج المجتمع من خلال الجريمة ومن خلال إراقة الدماء. وهكذا ظهرت القوانين المكتوبة بالتدريج فقط مع تطور حالة المدينة (polis)؛ وكان من الصعب فرضها على الناس. في نفس الوقت كان لدى "العلاج" بالسحر فرصة تحوله أن يحتل أهمية شعبية إلى درجة غير معقولة في مضمار البيروقراطية الحكومية الشرقية. افتقر الإغريق لمؤسسات مباشرة ذات سلطة ملكية وقانونية حيث أن عدم التأكد كان هو مقياس الحرية. و هكذا فإن "المرض" يمكن أن يجعل كل المدينة بحاجة إلى علاج للتكفير عنها. لذلك استدعت مدينة أثينا إبيمينيديس من كريت بعد النهب السيلوني و استطاع إعادة النظام إلى البلد من خلال الشعيرة الدينية[٢١]. ويتناظر الاختلاف بين الحضارتين الشرقية والإغريقية على مستويات خاصة من خلال الطريقة التي تصل إليها الثقافة في مناطق مختلفة. إن ذلك لا يمنع التأثير والنقل والتبني، ولكنه سوف يُكْسِبُ أي شيء مستورد وظيفة جديدة و يُطَوِرُ أشكالاً جديدة في السياق الجديد. قلما تعرضت ممارسة الطقوس نفسها لأي تغيير على المدى البعيد بالطريقة التي كان يؤديها طاردو الأرواح الشرقيون، وكذلك الأمر بالنسبة للتضحية بخنزير رضيع.

إنها حاجة بدائية عند الناس أن يحافظوا على أنفسهم "نظيفين"، لذلك فليس عجيباً أن نجد أنَّ حفلات التنظيف تلعب دوراً كبيراً على مستوى العالم بين المجموعات العامة من الناس بالإضافة إلى المجموعات الدينية. ومن المتوقع إجراءات وأشكال متشابهة؛ وإن واحدةً من أكثر الهتافات شيوعاً هي: "الله يبعد الشر ! الله يبعث الخير! ". ومن الملاحظ أنه

قد ثُبتَ وجود هذه الهتافات في كل من بلاد الرافدين، على شكل كتابة شائعة على التماثيل السحرية وفي طقوس طرد الشياطين، وعند الإغريق[٢٢]. لقد كان الاتصال بشخص أو مسألة غير نظيفة من الأمور الداعية للخوف في كل من الثقافتين. "لقد لمس امرأة يداها غير نظيفتين..... أو قد لمس رجل يداه غير نظيفتين..... أو يداه لمست جسماً غير نظيف". هذه بعض الأحكام التي كان يطلقها طاردو الأرواح عندما يتعاملون مع حالة مرض. و هكذا فإن الوصفة الأكادية تحذر من التالي: على المرء أن لا يتكلم إلى رجل يرتكب معصية ولا يأكل أو يشرب معه؛ وينطبق هذا التحذير نفسه على القاتل عند الإغريق: فقط بعد أن تم تطهير أورستوس أصبح "الاتصال معه من دون أذى" ممكن[٢٣].

وإلى جانب دم الخنزير و الشعلات وماء البحر، فإن لأغصان الأشجار استعمالاً خاصاً في عمليات التطهير. ففي القصيدة الأكادية *سأمدح إله الحكمة*، يُصَوِّرُ الرجل الذي يحتفل بشفائه حلم الأمل فيقول: "وفي [حلمي] أنا [رأيت] [رجلاً] شاباً رائعاً يحمل بيده عود تطهير من شجرة التاماريسك... لقد ألقى الماء الذي يحمله عليَّ ، لقد لفظ تعويذة إعطاء الحياة، ودلّك [جسمي]". قارن هذه العبارة بعبارة أخرى في الأسطورة التي يعود أصلها إلى مذهب أبولو في معبد ديديما حيث قام المتنبئ الأبولي برانكوس بشفاء ميليسيانس من الطاعون قائلاً: "هو رش الناس بأغصان الغار .... ذكر الناس الإجابات". لقد جعل كاليماكوس برانكوس يردد صيغة ما مرتين أو ثلاث مرات دون أن يفهمها الناس[٢٤]. هل يوجد استعمال للغة أجنبية هنا؟ أم أنَّ هناك ربطاً مغرياً على الشكل التالي: أن كلمة برانكيا branchia تعني في الإغريقية خياشيم السمك؛ كما أن برانشيديا Brancchidia هو اسم عائلة من القساوسة الذين كانوا يديرون معبد ديديما نزولاً حتى الفترة الفارسية. أما الآن فإن إحدى خصائص التصوير في سياق الشفاء بالسحر في بلاد الرافدين هو أن تجد رجلاً له رأس سمكة يضعها كقناع على رأسه ويحمل أداة التطهير بيده اليمنى ودلو ماء في يده اليسرى. بهذه الصفات يمكن تحديد هوية هذا الشخص على أنه ممثل لأسطورة بلاد الرافدين؛ إنه apkallu أي "رجل حكيم" من الأزمان الغابرة. ولقد وصلت أشكال كهذه إلى شمال سورية

بالتأكيد[٢٥]. فهل أحضر بعض المداوين هذا المطلب الضروري إلى ديديما و بذلك سببوا وجود اللقب برانشيديا "عائلة الخياشيم" ليصبح لقباً لقبيلته؟

وهناك إجراء تطهيري قاسٍ ألا وهو "المسح" (apomattein). يستعمل ديموسثينس هذا المصطلح في سياق طعنه بأم ايسكينس التي هي قِسّة متخصصة في التطهير والطقوس الدينية. يقول التعليق إنه على الشخص الذي سيخضع للتطهير أن يُطْلى نفسه بالطين والقش ومن ثم يتم نزعهما عنه فيما بعد. ذكر سوفوكليس[٢٦] بأن "مطهر الجيش هو الشخص الذي يعرف الأشياء التي يحتاجها المسح". وعلى أية حال، فإن المسح (kuppuru) بعجين الطحين (lisu) كان من الممارسات المُوَثّقة في التطهير عند القساوسة في بلاد الرافدين.مصطلح Yom أهمية هذه الممارسة تنعكس في أن جذر هذه الكلمة يعني في العبرية التطهير بشكل عام حتى يدون الممارسة التي تنسجم معها حيث إن مصطلح Yom Kippur يعني "يوم التطهير". تربط هذه الممارسة بحد ذاتها الأكاديين بالإغريق. أما مادة التطهير، التي غالباً ما تم ذكرها في النصوص الشرقية، فهي في الأكادية مادة الإسفلت (kupru). وعلى أية حال، فإن الإسفلت asphaltos هو إحدى المواد التي استعملتها ساحرات سوفرون أو استعملها ميلامبس في الكاريكاتير الهزلي[٢٨]. وإن ما يزيد الدهشة هو استعمال البصل كمادة للتطهير؛ وهنا تصف النصوص الأكادية هذه الإجراءات بالتفصيل حيث يُقشر البصل طبقة تلو الأخرى حتى لا يبقى منه شيء. أما عند الإغريق فنجد أن البصل السحري قد تم ذكره على عجالة، كما وتم تسمية نوع معين من البصل أسوة باسم المطهر المشهور إبيمينيدس.

يجب التخلص بحذر من كل بقايا التطهير حيث تقول الإلياذة: "إنهم يلقون البقايا في البحر" (I. 314). أما طاردو الأرواح البابليون فمن الممكن أن يرموا الماء "ومعه كل الشر[٣٠]" بعيداً، وعندها يجب أخذ الحيطة لكي لا يلمسه الناس الآخرون. ويبقى من الأفضل استعمال إناء يمكن إغلاقه بإحكام[٣١] حيث يوضع فيه كل شيء بما في ذلك التماثيل السحرية الصغيرة التي سبق تصنيعها. وبطريقة منسجمة مع ذلك، كان الإغريق يُحْضِّرُون إناء يسمونه pharmake لـ "أولئك الذين سيُطَهِرونَ المدينة[٣٢]". أما في بلاد الرافدين، فتُأْخَذ

البقايا بما في ذلك بقايا الفحم من نار الأضحية و "تُلْقى في مكان قاحل"، و"تدفن في أرض مهجورة" و"تودع في سهول تحت غصن شجرة شوكيه[٣٣]". ويقول النص الأبوقراطي عن المداوين بالسحر في كتاب بعنوان "في الأمراض المقدسة": "وإنهم يخبئون بقايا التطهير جزئياً في الأرض، ولقون جزءاً في البحر ويحملون جزءاً إلى الجبال حيث لا يستطيع أحد أن يلمسها أو يدوس عليها[٣٤]". لقد كان هناك اعتقاد في بلاد الرافدين بأن أحد أسباب المرض قد ينشأ من شخص يضع قدمه "في ماء غير نظيف" من بقايا شعيرة التطهير. إن هذا الاعتقاد لم يكن مختلفاً عنه في الغرب حتى في زمن الإمبراطورية الرومانية. سُئِل إنكولبيس في رومانسية بترونيس وهو في معاناته: "في أي تقاطع طريق وطأت قدمك على بقايا التطهير في الليل". أما في إطار أكثر الطقوس الرومانية قدماً، ألا وهو طقس ديفوتيو devotio، فقد كانت تُدْفَنُ صورة بديلة و نتيجة لذلك "لم يكن يُسمح لأي مسؤول روماني رسمي أن يذهب إلى ذلك المكان[٣٥]". وكانوا يرون أنه من الأفضل لهم أن يتركوا الطيور تحمل الوباء الشرير بعيداً. لقد تم هذا في ثيسيلي و في قانون موسى[٣٦] أيضاً.

وهناك تفصيل غريب حيث يستلم إبيمنيدس وهو أشهر قساوسة التطهير من حوريات الآلهة طعاماً سحرياً. لقد مكنه من التحرك من دون التغذية العادية؛ إنها عشبة إيقاف الجوع (alimon). لقد حفظها في حافر بقرة[٣٧]، وكأن الحافظات العادية لا يمكن أن تحملها. أما نص الشعوذة الأكادي فيُقَدّم الوصفة التالية: املأ حافر البقرة بالماء، أَلْقِه بوجه الذرة المرة، اضربه بقصبة في وجه آلهة الشمس، اسكبه خارجاً، وعندها سَيَتُمّ الاحتفاظ بالميت بعيداً[٣٨]. إن الأثر في الحالتين مختلفٌ، أما الوصفة فمن الواضح أنها وثيقة الصلة. وطبقاً لقصة الإسكندر الرومانسية فإن سُمّ أنتباتر، الذي قتل الإسكندر العظيم في بابل، كان محمولاً في حافر بغل.

وما يزال المشككون يشكون بوجود اتصال ثقافي مباشر بين الشرق والغرب ويُصِرّونَ على إمكانية التوازي العفوي الذي يتكرر حدوثه من الأشكال العامة "للخرافة". لقد بدأ الأفق التاريخي لفترة تأثير الشرق مع وفقاً للنصوص الإغريقية فإن كريت القديمة كانت بيت معرفة

"التطهير". لقد ارتبط اسم ايبيمندس بعقيدة الكهوف في كريت على وجه الخصوص، بما في ذلك كهف زوس ـ هنا يختلف التراث على تحديد الكهف المشهور الذي كان مَحَطَّ اهتمامه ـ حيث جاءته القداسة في النوم الذي استمر لعقود. وبدوره تبنى ايبيمندس وظيفة المرشد الديني في كهف زوس في جبل إيدا[٤٠]. ولو أن ايبيمندس التاريخي قد خرج مرة واحدة من كهفه، فإنه كان سيقف هناك وجهاً لوجه مع نموذج القوس الآشوري، الذي من المحتمل أن يكون قد صنعه الحرفيون الشرقيون من أجل عقيدة زوس[٤١]. حتى قبل قدوم ايبيمندس، كان ثاليتس الكوريتني نشيطاً كموسيقار ملهم؛ لقد عالج وباءً في إسبارطة[٤٢]لم تكن كورتون مركزاً أقل تأثراً بالحرفيين الشرقيين. و هذا يعيدنا إلى عالم الأسطورة في مدينة كارمانور في كريت و إلى القس الذي طهر حتى أبولو بعد أن ذبحت الآلهة التنين الدولفيني[٤٣]. يبدو أن الاسم ليس إغريقياً. و على أية حال، فإن كريت ليست المركز القديم للثقافة الميونية فحسب، ولكنها تأتي أيضاً على أنها المنطقة الأكثر التصاقاً بالشرق السامي بعد قبرص في الفترة الهندسية و في بداية فترة تأثير الشرق. هناك علاقات شعائرية دينية غريبة لأبولو مع الثقافة السامية و خاصة احتفاحتمالاً.لقمر الجديد و اليوم السابع من الشهر[٤٤]. و هكذا و في ضوء هذه الفرضية فإن الصدفة البحتة تصبح من الفرضيات الأقل احتمالاً .

ويبقى السؤال إن كانت الاستعارات اللغوية قادرة على أن تقدم لنا براهين دامغة على العرى الثقافية مع الشرق. ولا يمكننا هنا الحصول إلا على القليل من أسماء العلم غير الإغريقية مثل كارمانور أو حتى برانكاوس و راكيوس[٤٥] سيكون وزن الدليل أكبر لو كان الجذر kather أي تنظيف أو تطهير ليس له أصل في اللغة الهندو - أوروبية بل هو مرتبط بالأصل السامي في سياق التطهير حيث أن كلمة Qatar تعني يدخن[٤٦] حيث أن إحدى مواد التنظيف في هذا السياق هي الكبريت. لقد إستُعمِلَ التدخين بالكبريت في أعمال هومر لأغراض عملية وشعائرية. وإن التشابه بين الصوت الأكادي لكلمة "كلمة القذر الذي يجب تنظيفه في عملية التطهير في الإغريقية وهي lymata أو lythron ليس بأقل إيحاءً. فنحن نواجه هنا جذر كلمة إغريقية ليس لها أصل هندو - أوروبي و مُعطاة نهايتين بديلتين لكلمات إغريقية. يربط الإغريق هذه الكلمة إما بكلمة

lyein أي "يحل" أو بكلمة louein أي "يغسل لحدٍ ما" ؛ ولكن القواعد العامة لتشكيل الكلمات لا تجيز الأولى وتجيز للثانية بصعوبة فقط. وهناك مشاكل مشابهة مع الكلمة اللاتينية lustrum في سياق التطهير حيث يتجه الرومان لربطها بكلمة lux أي ضوء. والحقيقة أن هاتين المجموعتين من الكلمات lymata وkathairein تظهران عند هومر. إن kathairein وkatharos هما كلمتان شائعتان ؛ وقد ارتقتا إلى مكانة ما فوق مكانة الكلمات الأجنبية. سَيُطبق هذا الادعاء على تجانس ثالث في هذا المجال ألا وهو الكلمة ara التي تعني صلاة ولعنة. إن الشخص الذي يستطيع أن يجلب الطاعون بصلاته أو بالأحرى يلعن الإغريق و يُبعد الطاعون مرة أخرى هو كريسس الـ areter ؛ إن كلمة يلعن بالأكادية هي araru. أما في العبرية فإن !ara تعني "لعنة!"بدون شك إن لم يكن الإغريق قد فهموا هذه الكلمة في هذه الحالة من الناحية القواعدية فإنهم قد فهموا معناها في هذا السياق على الأقل. إن ما يسبب الصعوبات هو وجود الشكل arwa في أصل الكلمة الإغريقية كما تشير الاشتقاقات من اللهجات المختلفة[٤٧] ؛ ولكن هذه الكلمة لا تتماشى مع كلمة araru التي لا يحتوي جذرها على الحرف w.

وباختصار فهناك إمكانيات موحية، ولكن لا توجد براهين مطلقة على وجود استعارات لغوية في مضمار حفلات طقوس التطهير، و على كل حال فالوضع لن يكون أقل صلفاً إذا تم إنكار وجود الاستعارات اللغوية كلياً. وإن التواصل الثقافي من بلاد الرافدين إلى البحر الأبيض المتوسط موجود لا محالة

أرواح الأموات و السحر الأسود

إن القوى الشريرة التي يُفْتَرضُ على التطهير أن يخلصنا منها، هي ما يعرف بالشياطين المؤذية والضارة[١]. تلعب روح الميت etemmu، إلى جانب الأسماء الخيالية المختلفة التي أُثيرت بهذا الخصوص، دوراً مخيفاً أيضاً[٢]. لقد لفت إيروين رود الانتباه[٣] إلى أنه كان يُنْظَرُ إلى أرواح الأموات بشيء من الخوف حتى عند الإغريق. أما عند هومر فلم يكن هذا النوع من الخوف شيئاً غير معروف بقدر ما هو مكبوت.

إن فرضية وجود أرواح مستقلة عن الأبدان التي تُعتبر مرحلة عالمية في تطور الحضارة الإنسانية، والتي تأثر بها رود، تستثني المقارنات الثقافية المحددة بدلاً من تشجيعها. ومع ذلك فإن مدى الانسجام بين مفهوم هومر للعالم السفلى وبين مفهوم بلاد الرافدين له يبدو مثيراً للغاية؛ إنه عالم مليء بالطين و الظلام اللذين لا يتركان أملاً للأحياء من الناس. لقد جاء وصف هذا العالم في مشهد مشهور في *جلجامش* عندما يقابل الأخير روح صديقه إنكيدو. قد يكون لهذا المشهد روابط مع هومر حتى على المستوى الأدبي[٤]. وأما طقوس اِسْتِرْضَاءِ الأموات فتتم بطريقة متشابهة جداً عند أهالي بلاد الرافدين والإغريق خاصة من خلال الأنواع المختلفة من السقاية حيث يتم تقديم "الماء والبيرة والذرة المحمصة والحليب والعسل والكريمة والزيت[٥]" في بلاد الرافدين؛ ويتم تقديم الحليب والعسل والماء والخمرة والزيت[٦] عند ايسكليس. أما الشيء الأكثر خصوصيةً فهو أهمية تقديم الماء الصافي للأموات: "ماء بارد" و"ماء صاف[٧]". أما مد الأنابيب في القبور وذلك من أجل السقاية على وجه التحديد فهو أمر غير عادي عند الإغريق[٨]، ولكن هناك دليل أدبي مباشر على هذه الممارسة في بلاد الرافدين[٩].

يُطْلَقُ في الإغريقية تسمية الأبطال على أولئك الأموات الذين يُظهرون أنفسهم على أنهم قادرون على التأثير في الأحياء. وتُظْهِرُ قطعة من أريستوفينس وبطريقة خاصة وحيوية ومسلية كيف أن لدى هؤلاء الأبطال القوة لجلب كل أنواع المرض على الأحياء فيما لو لم يَقُم الآخرون باسترضائهم[١٠]. وبطريقة مشابهة فإن روح الميت الأكادي، الذي لم يدفن (etemmu)، تستطيع أن تسبب أنواعاً عديدة من الأمراض، و لذلك كان يُقابل بطرق مشابهة من الخوف. ومرة أخرى فإن هناك نصوص تعويذات سومرية أكادية بحاجة للتوثيق[١١]؛ "عندما تتملك روح شخص ميت من رجل"، أو "يد روح الميت[١٢]"، عندها يحين وقت طرد الأرواح. يعتقد المريض أنه يشعر بهذه القبضة ويتوجه للصلاة قائلاً: "إن تكن روح شخص من أسرتي أو عشيرتي أو روح شخص ذُبِحَ في معركة أو روح تائهة...[١٣]". تدل هذه الكلمات على القيود النفسية و الاجتماعية التي تدخل في المرض، أي

أنه يجب أن يكون هناك خوف خاص من أرواح الأشخاص ذوي القربى. "يد أرواح والده ووالدته قَبَضَتْه[١٤]". وأما الخوف من غضب أولئك الذين لم يموتوا مِيتَةً طبيعية فهو ليس بالشيء القليل. يطلق الإغريق على هؤلاء الأموات اسم biaiothanatoi ويقولون عنهم: الشخص "قُتِلَ في المعركة" ولم يُدْفَنْ "الذي يستلقي في العراء دون أن تغطيه الأرض"، "جسمه مقذوف على السهول ... : روحه تتجول بلا راحة في الأرض[١٥]". حتى أن "الروح الأجنبية" "التي اسمها غير معروف" يمكن أن تكون سبباً وجيهاً لعذاب المريض[١٦].

إن المصطلح الإغريقي لهذا النوع من غضب الميت هو menima. ويظهر هذا المصطلح في سياق هام مع بدايات هومر حيث يهدد هيكتور، وهو يعاني من حالة الموت، أخيل، الذي يرفض له طلب دفن مناسب، ويقول له هكتور أنه من الممكن أن يصبح سبب غضب [menima] الآلهة عليه وذلك في اليوم الذي سيُقْتَلُ فيه أخيل. وبطريقة أقل درامية، يطلب إلبينور المتوفى من أوديسيس، وذلك عندما يقابله في العالم السفلي، أن يُعِدَّ له طريقة دفن لائقة لكي لا يصبح سبب الغضب menima[١٧]. هذه حالات حرجة وخطرة؛ إنها حالة شخص "قُتِلَ في معركة" ولم يدفن ولهذا يتجول بروحه من مكان إلى آخر دون راحة. ويقول أفلاطون بطريقة تعبيرية أن "menimata القديمة" يُظهرون أنفسهم في "المعاناة العظيمة" التي تؤثر على "عائلات معينة" و تنبثق من "أخطاء غير مطهرة قديمة"؛ أما هذه الأخطاء فيجب أن تُعالج من خلال حفلات التطهير التي تتم عند الدخول في الطقوس الدينية بما في ذلك حالة الجنون[١٨]. ولقد أراد أفلاطون أن يؤكد في كتابة الذي يحمل العنوان *قوانين* على العامل الأخلاقي، ولكن لم يكن بمقدوره إلا أن يذكر التطهير. ومرة أخرى فإن إبيمنديس هو المختص القديم والمشهور في هذا النوع من التطهير؛ إنه المرء الذي لم يتنبأ "عما سيحدث وحسب، و إنما عما حصل في الماضي[١٩]".

وبالطبع لم يكن هناك نقص في عدد الناس الذين كانوا يرغبون في الاستفادة من غضب أرواح الأموات ليوجهوها ضد أعدائهم الشخصيين وذلك من خلال السحر الأسود. وإن الممارسة الأكثر مباشرة والمعروفة في القديم هي أن تصنع صورة للشخص المراد إيذائه

وتدفنها في القبر. بهذه الطريقة ستقع الضحية فريسة للأموات و آلهة العالم السفلي تتم عادة الإشارة اليوم إلى تماثيل صغيرة كهذه بدمى فودو التي تمثل أرواح أشخاص محددين " voodoo dolls"؛ وهذه دلالة على أنه يمكن لنفس الممارسة أن تحدث في حضارات مختلفة و على نطاق واسع. لقد وُجِدَتْ دمى فودو، التي جاءت من منطقة بيركلين، في مقابر الكيراميكوس في أثينا. ولقد استخدمت الساحرات الشريرات في بابل نفس الممارسة أيضاً. وهكذا يتذمر المريض فيقول: "لقد سَلَّمْتِ تمثالي إلى الجثة"، "لقد وُضِعَتْ صورتي في القبر". هذا "وإذا تم وضع تمثال رجل مع رجل مات بعده"[٢٠]، فسيعاني الرجل الأول من فقدان الحيوية. وإن مبطلات السحر موجودة في مجموعة الماكلو قبل أي شيء آخر.

هذا ليس الشكل الوحيد من السحر الأسود الذي ظهر عند كل من الإغريق وأهالي بلاد الرافدين. كما ويمكن التفكير ببساطة بأن "صناعة الصور" و "أخذ اللعاب والشعر وحاشية الثوب وآثار الأقدام[٢١]" تمثل أشكال عالمية للسحر. فقد إستُعْمِلَت حاشية الثوب في *الفارماكيتريية*[٢٢] الأيوقراطية". وهناك أيضاً أشكال من حليٍّ الحب الأكادي التي تستعمل التماثيل[٢٣]. وتشير *الفارماكيتريية* إلى "أجنبي من بلاد آشور" الذي يقدم مادة فعالة محددة[٢٤] على وجه الدقة. ذلك هيليني، أما أفلاطون فقد صَوَرَ مسبقاً التأثير المخيف للسحر على مواطني المدينة "فعندما شاهدوا أشكالاً من الشمع خارج باب أو على مفترق طرق أو على قبر، فلربما كان ذلك الشكل شكل أبويهم[٢٥]. لقد كانت هذه الممارسات السحرية عند الإغريق منذ زمن بعيد. وبنفس الطريقة يخاف الناس في بابل من "أشكال مُصَنَّعَةٍ إذا ظهرت" لأنها تدل على أن شخص ما قد "قطع الحياة"[٢٦]؛ وفي هذه الحالة يكون السحر المضاد حاجة مُلحة.

يُذابُ تمثال شخص ما مصنوع من الشمع في شعيرة الإبادة المهيب. وكانت تقوم بهذا الشعيرة الساحرة في ثيوكراتس بالطريقة التي كان يُمارس فيها في بلاد الرافدين. أما في مصر فقد تم إثبات استعمال تماثيل من الشمع في أوائل الألفية الثالثة[٢٧]. ولدينا نص آرامي متعلق بهذا الموضوع وهو نص معاهدة سفاير من القرن الثامن؛ وتُعدُّ هذه فرصة نادرة لتوثيق ما جرى بين البابليين و الإغريق. إن هذا النص هو عقد دولي انتهى بأداء أيمان معظمة

ولعنات؛ يُقال في هذا السياق: "كما تستهلك النار هذا الشمع، هكذا .... ستستهلك النار (N.N)". وتظهر نفس الصيغة في عقد بين ملك الآشوريين إيشارهادون وأعوانه في القرن السابع؛ كما وُجدت هذه الصيغة قبل ذلك بكثير في أداء قسم الجنود الحثيين[٢٨]. وهذا ينسجم مع أداء القسم عند السيرينين كما هو ثابت في الأوامر الصادرة عن مؤسستهم التي وصلت من خلال كتابات القرن الرابع. أما ما يبقى موضوع جدل فهو فيما إذا كانت هذه الوثيقة معتمدة من القرن السابع حيث تقول لقد "صنعوا صوراً من الشمع وحرقوها وهم يدعون على كل من لا يحفظ قسمه أو يستهين به أن يذوب ويطير مثل الصور"[٢٩]. وعلى أية حال، فقد تم إثبات هذه الممارسة في فترة التاريخ القديم من خلال التوازي مع السفاير. إن لدى طقوس أداء القسم، التي لها صفة عالمية، أفضل الفرص لعبور الحدود الثقافية.

إن أريشكيكل هو اسم واحد في عالم السحر الأسود الذي من المؤكد أنه سافر من سومر إلى مصر الهيلينية ومنها إلى قرطاج؛ وهو اسم سومري لآلهة الخوف في العالم السفلي، وإنه اسم آلهة النار التي عادة ما تظهر في صلوات الإغريق وأوراقهم السحرية[٣٠] في مراحلها المتأخرة. وهذا الاسم هو إحدى أكثر الكتابات التي جاءت من السومرية إلى الإغريقية من حيث الدقة ؛ وهذا يجعل التصادف الأمثل في حالة ترتيب مقاطع الكلمة أمراً غير مطروح. يبدو إلى هذا الحد أنه قد تم طباعة نصوص من الفترة الإمبراطورية فقط وأنه قد جيء على طباعة هذا الاسم. ولو اعتبرنا أن تأثير البابليين توقف منذ زمن بعيد وأن اللغة المسمارية قد أصبحت طي النسيان، فإن فترة الاستعارة قد تكون قبل ذلك بكثير. وقد يكون التسلسل التاريخي في عالم السحر أقل أهمية من الأماكن أخرى. وعلى أية حال فإن اسم ارشيكليكل هو برهان على التأثير الكبير لسحر بلاد الرافدين، كما هو حال تأثير الآشوريين على ثيوكريتس.

ويجب النظر في هذا السياق على نص آخر من سيرين. سُجِلَ في سيرين قانون موسع ومقدس عن طقوس التطهير كما صادق عليها المتنبئ ديلفك في القرن الرابع قبل الميلاد؛ ولكن إذا حكمنا على هذه النصوص من خلال محتوياتها، فستجد أنه يجب أن تكون أقدم

من القرن الرابع بكثير[٣١]. أما ما يهمنا هنا فهو الجزء المعنون بـ هيكسيون Hikesion. يُعتقد أن كلمة hikesios مفهومة جيداً، وأنها تعني "الذي وصل" أي بمعنى المتوسل. ولا يوجد شك عند أول المعلقين بأن ما سنتعامل معه هنا هو معالجة المتوسلين الذين عادة ما يُدْعَوْنَ hiketai. ومع هذا الافتراض فإن الوصفات الفردية الموجودة في النص تبدو غامضة لدرجة كبيرة. وإنها ليست محض مصادفة أن جون كولد لم يأخذ بعين الاعتبار النص السيريني[٣٢] في معالجته المثالية لـ hiketeia. لقد تم عزل ثلاث حالات في القانون المقدس من سيرين؛ الحالة الأولى هي hikesios "أُرْسِلَ من مكان آخر"، والثانية epaktos . وتبدو المشكلة الرئيسية مع هذا الصديق التحقق ممن أرسله.

> إن كان أرسل إلى البيت، إذا [المالك] يعرف من عند من جاء إليه، سينادي اسمه، سيلفظه ثلاث مرات في اليوم؛ إن كان مات في البلد أو ضاع في مكان آخر، إن يعرف الاسم، فسيناديه بالاسم، إن كان لا يعرف [فإنه سيقول]: "أنت يا إنسان، إذا كنت رجلاً أو امرأة"؛ سيصنع تمثالين صغيرين، [واحد] أنثى و[واحد] ذكر، من الخشب أو الفخار؛ إنه سوف يستلمهم [في بيته] ويقدم [هما] مع قطعة من كل شيء. عندما تقوم بما هو معتاد، بعد ذلك خذهم إلى غابة برية و ألقي بهم على الأرض، التمثالين الصغيرين وقطعهم [من الوجبة][٣٣].

إنه لمن الغريب أن تؤخذ هذه الشعيرة على أنها شعيرة تطهير أو قبول المتوسل. لا نرى أحداً مهتماً بهذا الشخص الذي عليه أن يحضر و بحاجة إلى حماية؛ إن الاهتمام هنا هو بفرد ما، سواء أكان معروفاً أم غير معروف؛ و إنه لمن الواضح أن هذا الفرد كان غائباً، ولكن يُفترض أنه أرسل الـ hikesios. ويتمنى المرء أن يتخلص فوراً من ذلك مرة أخرى. لو تمعن المرء فيما يقابل هذه الممارسة كما جاء وصفها في الفقرة التي تم اقتباسها، فسيجد أن الأدب السحري الأكادي قد قدّم لنا الموازاة الأقرب. وهنا مرة أخرى، فمن أجل شفاء شخص مريض، يجب صنع تمثال من "كل شيء شرير" ووضعه على السطح بجانب فراش المريض والعناية به لمدة ثلاثة أيام؛ ومن ثم يوضع التمثال في قدر و يُغلق حيث يرافق هذه العملية

التعويذات، ثم يُؤخذ بعيداً ويُدفن في "أرض مهجورة"[٣٤]. إن التوافق بين الإجراءات، ألا وهي صناعة تمثال صغير، والعناية به، ثم إلقاءه من مكان مهجور، هي شيء مكتمل. و هكذا فإن كلمة "أرسل" في النص الإغريقي تصبح واضحة، ألا وهي "الإرسال على" (epagoge) وهذا مصطلح معروف في السحر الأسود. يأتي هذا المصطلح عند أفلاطون في المرتبة التي تلي defixio[٣٥] مباشرة. الساحرة "ترسل" الشر "على رأس" أعدائه. لذلك يصبح من المهم جداً أن نعرف من الذي يقف خلف الشر وذلك لنضرب على جذر الشر، أو بالأحرى لنتبع طريقة الاسترضاء لنصل إلى حل أو اتفاقية. و لهذا السبب يتم أولاً إطعام تمثال من هو شرير، ومن ثم يتم التخلص منه بقوة. أما النتيجة فهي أن كلمة hikesios في سيرين لا تعني المتوسل، بل تعني الروح الشريرة التي "تأتي على" شخص أو بيت[٣٦].

يجب على الفرضية إما أن تصمد أو أن تسقط في ضوء الفقرتين الأخيرتين من قانون آبولو المقدس لسيرين الذي يعالج حالات أخرى hikesioi وطرق التعامل معها[٣٧]. علينا أن نحافظ على الفقرة الثانية سليمة بكليتها على وجه التقريب، أما فهمها فقد يصبح صعباً بسبب المعنى الغامض لثلاث مصطلحات تُطبق هنا بطريقة تقنية خاصة و غير معروفة في الوثائق الأخرى؛ وهذه المصطلحات هي: teliskesthai وateles telesmenos وpropherestha. بالإضافة إلى ذلك فإن الأسلوب القديم غالباً لا يحدد فاعل الفعل، وكذلك لا نعرف كيف كان "الضريح العام" (damosion hieron) لسيرين. سيحاول التحليل التالي أن ينقل بنية القانون بدون الاستفادة من معلومات إضافية آخذاً telein بالمعنى العام وهو "تنفيذ الشعيرة"[٣٨]. أما hikesios "الأخر"، فهو إما مع القيام بالشعيرة أو بدونها، "أخذ مكانه في الضريح العام". لو أن هناك "حكم"، فإن الشعيرة يجب أن تتم حسب الشروط المعلنة. وإن لم يكن هناك حكم، فإن العطاء السنوي لفواكه الحقل المرفقة مع السقاية يجب أن تُقَدَّم إلى الأبد. ولو نسي أحد ذلك فعليه أن يقدم ضعف العطاءات في العام القادم. وإذا ألغاها أحد من الذرية أو نسيها وهناك حكم له، فإنه سيدفع للآلهة ويضحي بأي شيء يَكشُف عنه المتنبئ ـ إذا علم فعليه أن يقدم الأضحية إلى والد الآلهة، وإلا تتم استشارة المتنبئ.

من الواضح أن هذا النص هو عن تأسيس مذهب ديني و المحافظة عليه. أما المفسرون الذين يفهمونه على أنه يشير إلى الإنسان المتوسل فيجب أن يضعوا ثلاث فرضيات إضافية ألا وهي: إن النص يتعامل مع حالة مجرم، على الرغم من أن الجزء الثالث فقط من القانون يتكلم عن القتل؛ وإن المذهب هو لمصلحة ضحية الجريمة؛ وأما الحكم فقد نطق به القس: "[فالقس] يحدد"، و إن "تنفيذ الشعيرة" يعني القبول وذلك لكي يصبح مواطناً صالحاً "للدخول في المذهب"[٣٩]. ولكن مع هذه الافتراضات، فإن السطر الأول من النص سيكون عبثياً: فإن الشعيرة "إما أن تتم أو لا تتم"؛ ويبدو أنه من الممكن إعادتها. وعلاوة على ذلك فإن لدى القس الحرية بأن يضع الشروط أو لا يضعها بناءً على نزواته ورغبته. وبدقة فإنه هو (؟) "لم يحكم" وهكذا سيتوجب تقديم الأضاحي إلى الأبد؛ أما في الحالة الأخرى فإنه سيتوجب تقديم الكفارة مرة واحدة إلى الأبد. و الأهم من ذلك كله هو لماذا يتوجب على القس أولاً ومن ثم على المتنبئ أن يقرر ماهيَّةَ الأضحية إذا نشأت مشكلة مع الأجيال القادمة فيما بعد؟ وفي الواقع فإن الأوامر مختلفة وأكثر وضوحاً إذا ما قرر المرء أن يتصور أن روحاً شريرة قوية تفرض نفسها عليه سواء كان ذلك في الحلم أو على شكل رؤى أو عن طريق سماع أصوات. وفي ظل هذه الظروف، سيكون هناك إجراء ديني "حسب الأمر" (kat epitagen) وهذا ما تم التعبير عنه في الكتابات في أغلب الأحيان. ثم يستعيد المصطلح حكم (propheresthai) معناه الثابت "يوبخ أو يتذمر": إنه يعني نفس "يُعبر عن menima". وهذا المصطلح قريب أيضاً من مصطلح "يُعطي إشارة الإرادة الإلهية" episemainein. فإن لم يكن هناك شيء ظاهر بدقة، وإذا كانت الروح وَجَّهَتْ الرعب على الناس بدون كلام، فعندها تنطبق الصيغة العادية بتقديم الأضحية لإرضاء الميت وهي: فواكه الأرض وسقايات للموتى. ويتأثر الأولاد والأحفاد لأن مذهب الميت هو مذهب أجداده. وهكذا فقد جاء في أحد النصوص الأكادية أنه بإمكان السلف المُنسي أن يُعبر عن عدم سعادته و "يشتكي" قائلاً: إن روحاً من عائلتي قد ألقت القبض عليّ. وفي حالة الشك ينبغي للمرء أن يستشير متنبئاً لمعرفة العطاءات الصحيحة التي يتوجب عليه تقديمها؛ ويجب تقديم هذه العطاءات إلى

إله العائلة إن كان معروفاً. يقول هيرودوتس عن عائلة إيساكوراس في أثينا[٤٠]: "يجب أن يقدموا أضحياتهم إلى زوس كاريوس" وإلا فإن المتنبئ سيحدد أيضاً من هو (الإله). وهكذا فإن النص سيكتسب معناه فقط في سياق ما نسميه الخرافة. إن كلمة Teliskestha تعني إذاً تأسيس الشعيرة الدينية للمذهب. وإنه لافتراض جذاب أن يكون الضريح العام لسيرين مرتبطاً ارتباطاً خاصاً بمذهب الأبطال .

أما الجزء الثالث في قانون سيرين فهو غير واضح بخصوص المصطلح الحاسم المتعلق بالتنوع الثالث لـ hikesios و autophonos: "المرء الذي قتل بيده" أو "المرء الذي قتل نفسه"؟ هنا يُقابَل تَدَخُّلْ المرء الذي "دخل" بشعيرة معاكسة "جعل الذي وصل يذهب" aphiketeuein[٤١]. ومرة أخرى فإن المفردات تجعل الأمر واضحاً لأننا لا نتعامل هنا مع قبول المتوسل في المجتمع، وإنما مع شخص ما نريد التخلص منه. وعلى أية حال يحتوي النص على بعض الفراغات التي يبقى إكمالها أمراً مشكوكاً فيه. ويجب على الشخص المتأثر أن "يعلن" عن الشعيرة و أن يجعل شخصاً ما يجلس على صوف خروف في العتبة[٤٢] و يدهنه، ثم يخرج مع مرافقين له إلى الطريق العام ويتوجب على كل من يقابله أن يلزم الصمت ويتلقى الأخبار حتى - يوجد فراغ هنا. تتم تلك "الأضاحي و أخرى" (شعائر؟) وهذا شيء مشروع. لو كان هذا النص يتعامل مع تطهير شخص من جريمة مدنسة فيجب أن نفترض الاندماج في الحدث الأخير والسماح له بالدخول إلى أضرحة المدينة. وبناءً على هذا الافتراض قام المحررون بوضع إكمالاتهم للنص. وعلى أية حال، تتحدث الأجزاء التي تم الحفاظ عليها من النص عن يقود "بعيداً" و"يخرج" و "يمر بـ "، وتذكر مناطق هامشية حيث "تلتقي فيها ثلاث قبائل" (triphylia)[٤٣]. إن السكوت مناسب في وجود "كائنات أكثر قوة"[٤٤]. هذه ليست شعيرة اندماج و إنما شعيرة تخلص وكل الاحتمالات تتضمن الشياطين أكثر من الناس الأحياء[٤٥].

وتبقى الحجة المضادة التي تقول إن كلمة hikesios تحمل في بعض النصوص الإغريقية الأخرى معنىً واضحاً ألا وهو "المتوسل" موجودة؛ وإنها لم تأتِ بمعنى "الروح

الملازمة" في أي مكان آخر. على أية حال هناك موازاة دقيقة في المعنى المزدوج لكلمة prostrapaios حيث تعني حرفياً "هو الذي يتوجه إلى شخص ما". نجد أن هذه الكلمة كانت قيد الاستعمال منذ إيسكيليس، وأنها لا تعني متوسلاً فحسب وإنما تعني الشيطان الذي يلازم نفسه مع شخص ما. ومع ذلك فإن هذا المعنى غالباً ما كان خطأً، وخاصة في قاموس ليديل سكوت على الرغم من أن التعابير مثل "prostropaios of Myrtilus [قُتل بخيانه] قد جاءت بعده " عند بوسينيوس أو في اجتماع كلمة Prostropaios مع "الغضب وأرواح الانتقام" كانت واضحة عند بوليبوس. وينبغي لنا فهم تهديد الـ Prostropaios للأموات عند المتنبئ أنتيفون وقبله[٤٦] عند إسكيلس بناءً على ما سلف [٤٧]. إن "الشخص الذي يقترب" يمكن أن يكون شخصاً غير نظيف أو روحاً شريرة للميت حيث تحمل هاتان الكلمتان نفس المعنى الخاص في الإغريقية. والحقيقة أن تفسير هذه الوثيقة من سيرين تظهر الدين الأبولي على أنه منغمس في الخرافة إلى حد كبير أكثر مما يريد دارسو الهيلينية أن يقبلوا به. وقلما سيجد هؤلاء الدارسون فرحة في أن التوازي بين هذا النص ونص شعيرة دينية من بلاد الرافدين قد ساعد على تأسيس معنى كلمة إغريقية بحتة. وبناءً على ذلك سيتلاشى الحد الفاصل بين الشرق و الإغريق.

الأضحية البديلة

يشعر الناس بالانشراح بشكل طبيعي عند تخلصهم من حالة الرعب التي تطاردهم إذا ما قام مخلوق آخر بتحمُّل ذلك المصير السيئ بدلاً عنهم. تُعَدُّ الأضاحي البديلة منتشرة على نطاق واسع[١]. فلقد كانت شائعة في بلاد الرافدين على وجه الخصوص؛ وكما هي العادة عندهم، يعطون القلق الأساسي أشكال حيوانات شيطانية من أكلة اللحوم[٢]. وكانت هذه العادة أقل شيوعاً عند الإغريق. أما ما تجدر ملاحظته أكثر من غيره فهي إحدى القصص الخاصة التي تتحدث عن أسطورة مذهب من معبد آرتيمس في ميونيكيا في أثينا.

ومرة أخرى يصبح الوباء، الذي يظهر من خلاله غضب الآلهة، جلياً؛ و يقال إن السبب هو قتل دُبّ مقدس. وهنا تطلب الآلهة من الناس أن يضحوا بفتاة شابة تكفيراً عن الذنب. ولقد "وعد إيمباروس أن يقوم بذلك شريطة أن تمنح الآلهة عائلته منصب القس طيلة حياتهم. وهكذا ألبس ابنته الثياب، ولكنه خبأها في المعبد وألبس العنزة الثوب حيث بدت وكأنها ابنته وضحى بها." هذا هو نص بوسينيوس من آتيك؛ والنسخة الموجودة في مجموعة من الأقوال المأثورة لزينوبيوس تشبهها لحد كبير. هذا وقد تم ذكر إيمباروس في كوميديات مينادير[٣].

من الواضح أن الحكاية تصف شعيرة؛ فقد أُنْجِزَ الطقس البديل كعبادة عند آرتيمس لرفع الوباء. وتفرض أسطورة تضحية إفيجينيا في أوليس نفسها كشيء موازٍ لذلك، حيث يُقالُ إن الآلهة نفسها قد قررت أخيراً استبدال العذراء بأنثى غزال؛ أما الأسطورة من ميونيكيا، فتصور الاستغلال الحقيقي بشكل توضيحي أكبر. وإنه ليس من المؤكد إلى أي مدى يمكن أخذ ذلك كدليل على العبادة الحقيقية. فليس هناك معلومات عن عائلة إيمباروس أو قِسِّيَةِ إيمباريديسه في علم دراسة المجموعات الإنسانية، ولكن إذا افترضنا أننا نتعامل مع اختراع بحت، فهذا سيجعل حالة إيمباروس المشهورة أقل قابلية للشرح.

هنالك طقوس حسنة التوثيق في أماكن أخرى حيث يتم استبدال الإنسان بحيوان؛ وإن المثال الأبرز هو الشروط في القانون القديم للطاولات الإثنتي عشر في روما التي تتحدث عن: arie subicitur "إستُبدل بكبش"[٤]. و على أية حال تقدم تعويذة نص بلاد الرافدين لنا موازاة أقرب.

يتعامل نص بلاد الرافدين مع شفاء رجل مريض ويحمل العنوان التالي "استبدال رجل لإريشكاكيل" حيث أن آريشكاكيل هي الآلهة السومرية الأكادية للعام السفلي. وإن الاستبدال هو "عنزة عذراء". تُوَضَعُ العنزة في فراش الشخص المريض ويُفترض أن تقضي الليل معه. ويصل المشعوذ عند الفجر، ويرمي بالعنزة والمريض خارج الفراش على الأرض، ويلمس حنجرة المريض بسكين خشبية، ثم يقطع حنجرة العنزة بسكين حقيقية. وبعد ذلك

تُحْشى العنزة المذبوحة بالبهارات وتُلبس ثوباً وتُعطى حذاءً وتزَيَّن عينيها. ويُجرح لباس رأس الرجل المريض حول رأسه، ثم يُعتَنى به "وكأنه رأس رجل ميت" عندما يغادر الرجل المريض بيته. هذا ويُطلق المشعوذ تعويذته، ويزداد الندب على الأموات فوق الرجل ويُحْضِرُ العطاءات للأموات ويقدم السقاية من الماء والبيرة والذرة المحمصة والحليب والعسل والكريمة والزيت؛ وأخيراً يتم تقديم العطاءات "لروح الميت من العائلة" وكذلك العنزة ويقوم الشخص بدفن الحيوان. بهذه الطريقة ينقذ الشخص المريض من مرضه.

ويجب أن لا نُغْفِلُ الفروق بين الشعيرتين. لقد تم وصف الأضحية في مونيكا في مذبح الضريح، بينما تم في الشرق تمثيل الموت في الفراش وفي البيت. أما بالنسبة للتشابه بين التمثيليتين، فإننا نجد عنزة في كلتيهما وهذه العنزة تُستَعْمَلُ كأضحية وتُلْبَسُ ثياب إنسان، وهذا شيء لافت للنظر؛ و كذلك الأمر فإن الأسطورة في مونيكا تهتم بشفاء المريض أيضاً. يذكر جيلوس بأن التضحية بعنزة من أجل الجنس البشري ritu humanu تأتي حسب المذهب الروماني لفيبوفيس؛ وهذه الحالة يمكن أن تشير إلى شكل مشابه من الطقوس لحد ما[٦]. ففي تينيدوس، وحسب مذهب ديونوسيس انثروبورايستيس، فإن "محطم الرجال" - مرة أخرى ضمن إيديولوجية تضحية الناس- يقدم العجل ومعه جزمه كأضحية للإله، بينما يتوجب على الجزار الهرب[٧].

لا نرى هنا نقصاً في التوازي. كما ويمكننا البرهان على اتصال مباشر من خلال الاستعارات اللغوية، ومع ذلك فإنها تبقى "ربما". إن الاسم إمباروس، بـ a الطويلة ليس صوتاً إغريقياً، وعلى الأقل فإنه غير موجود عند الآتك . ويقدم بوسيا نيوسو و معاجم أخرى بعده اسم Baros كبديل له. حتى هذا الاسم يبدو أكثر غرابة، ولكنه ينسجم مع الاسم الأكادي للمتنبئ وهو Baru[٨]. وهكذا فقد يفترض المرء أن وراء هذه الأسطورة حادثة حقيقية وهي أن متنبئ شرقي استخدم الأضحية البديلة وذلك لرفع الوباء وقد تم ذلك بنجاح باهر. يرتبط مذهب آرتيمس وضريحه في مونيكا بالشهر الميونيكي في تقويم الآتك؛ ونشعر في هذه المناسبة، كما هو الحال في باقي مهرجانات آرتيمس، بدخول الفتيات الإغريقيات في المرحلة التمهيدية للطقس؛ ولكن قلما يكون هذا استيراد شرقي بكلّيته. ومع

ذلك فإن الدليل على صيغة Boras يبقى ضعيفاً حيث تحتوي نصوص ميناديز كما هو واضح، التي هي أقدم الوثائق التي نملكها التي تعتمد عليها المعاجم، على كلمة Embaros. وعلى أية حال، فيجب أن لا تُستَبْعد الطقوس الإضافية حتى في حالة تأسيس المذهب، وكذلك فإنَّ كل أنواع الصدف قد تحدث في الكلمات المستوردة. حتى ولو لم تكن هناك إمكانية لتحديد المسار الدقيق بين الشرق والغرب، فإن التوازي بين الطقوس البديلة بين الشرق و الغرب جدير بالملاحظة.

أسكيليبس و أسكيلاتس

تقدم التماثيل البرونزية الصغيرة الثلاثة في معبد الحيرة في ساموس أقوى الأدلة على التوريد البابلي للإغريق وذلك فيما يتعلق بالمرض والشياطين و آلهة الشفاء. لقد تم استخراج اثنتان من هذه التماثيل بالتنقيب عليها في مستويات ترجع بتاريخها إلى القرن السابع (الشكل رقم ٤)[1] ، وقد تمت طباعتهما للمرة الأولى في عام ١٩٧٩. تصور هذه البرونزيات رجلاً واقفاً للصلاة ومعه كلب كبير. ولقد أثبتت الاكتشافات المشابهة في بابل كما أثبتت النصوص المسمارية أن هذه التماثيل ترتبط بآلهة الشفاء البابلية كولا من مدينة إسين؛ هذا وتُسَمى هذه الآلهة "الطبية العظيمة" آزوكالاتو azugallatu. وبحسب عقيدة كولا فإنه يتم تقديم الكلاب كأضاحي. ولقد ظهر في معبدها في إسين سلسلة كاملة من الكلاب المدفونة.

الشكل رقم (٤). تمثال بابلي برونزي، "كلب وقائد الكلب"، من مذهب آلهة الشفاء البابلية كولا، وُجد في معبد الحيرة في ساموس.

عندما يتم تقديم عدة تماثيل صغيرة من هذا النوع تكريماً لهيرا في ساموس، فإنه لا يمكن أن تكون هذه التماثيل مجرد أشياء تذكارية عرضية. إن الاحتمال الأكبر هو أن الناس كانوا يتقربون من هيرا من أجل الشفاء أيضاً. و لقد كانت هذه المساعدة مطلوبة بشكل عملي من كل إله، و لكنها كانت مطلوبة من الآلهة على وجه الخصوص. ولا يمكن لنا أن نثبت فيما إذا كان تقديم هذه البرونزيات قد تأصل مع التجار الشرقيين الذين وصلوا من ساموس أو فيما إذا كان الإغريق، مثل أنتيميندس شقيق ألكياس الذي خدم فيما بعد لفترة ما كمرتزق عند البابليين، قد أتوا بهم من الشرق. قد يستطيع المرء فهم ما يعنيه المرض عبر الحواجز اللغوية؛ ولكن تم العثور على تعويذة خاصة أظهرت فعاليتها ضد المرض، فإنه سيتم قبولها بارتياح تام.

ولكن هذه ليست القصة كلها حيث أن الدور الهام للكلب في مذهب إله الشفاء الإغريقي الرئيسي أسكيليبسس سيقودنا إلى أبعد من ذلك. لقد كان الكلب واقفاً بجانب التمثال المصنوع من الذهب و العاج لأسكيليبسس في معبده في إيبداروس؛ وكان هناك في اللوحة الحجرية المنحوتة المقدمة للإله كلاب بجانب أبناء أسكيليبسس. وهكذا تروي الأسطورة بأن أحد أولاد أسكيليبسس كان مُلْقى على جبل كينورتيون فجاءت إليه كلبه وأطعمته و من ثم وجده صيادون معهم كلاب[٤]؛ لاحظ أن kynegetai تعني قادة الكلاب في الإغريقية. وبالإضافة إلى ذلك فقد برز إلى الصدارة مذهب حقيقي مع متطلبات قوانينالأسطورة؛ يليبسس في بيرايوس حيث يقول: ينبغي للمرء الذي يرغب في الحصول على الشفاء، أن يقدم أضحية أولية من ثلاث كعكات إلى ماليتاس وأبولو وهيرمس وإياسو وآكيسو و باناكيا وأخيراً إلى "الكلاب وقادة الكلاب"، أي الصيادين[٥].

وهكذا يستطيع المرء أن يشرح فكرة الكلاب وقادة الكلاب بالرجوع إلى الأسطورة؛ وأما الأشكال البرونزية في معبد الحيرة فتقدم شرحاً تصويرياً مباشراً حيث تظهر الكلاب وقادتها هنا كتماثيل. ومن السهل على المرء أن يفترض أنه قد شاهد أشكالاً من هذا النوع في ضريح أسكيلبسس في بيرايوس؛ وقد تم التعامل مع هذه التماثيل باحترام تام

وبنفس الطريقة التي تم التعامل بها مع بقية الآلهة والسلطات الأخرى من حاشية أسكيلبسس، ونتيجة لذلك فقد كان لهم دورهم في الشعيرة. لقد ظهرت الكلاب وقادتها على أنها مكونات للأضحية الأولية؛ وظهروا أيضاً في المحاكاة التهكمية الخيالية لمذهب ديني في قطعة للشاعر الكوميدي أفلاطون[٦]؛ ولهذا السبب كانت المحاكاة مشهورة وقدمت تفصيلاً واضحاً لمذهب محدد. ولكن عندما يأتي المرء على تماثيل معبد الحيرا السامي فعندها سيدرك دور الكلاب وقادة الكلاب. إن وجود هذه التماثيل يشكل دليلاً على التفاهم الخاص بين الشرق والغرب في عالم آلهة الشفاء.

وهناك مساحة أخرى ستقدم لنا مغرياتها وتقفز بنا إلى الأمام وذلك للنظر في الدليل اللغوي. تسمّى كولا Gula آلهة الشفاء وراعية الكلاب وقادتهم في اللغة الأكادية[٧] azugallatu، أي "الطبيبة العظيمة". وعلى أية حال فقد كان أبولو يُعْبد على أنه أسكيلاتس ويحتفل بمهرجان أسكيلايا[٨] على جزيرة سيكللاديك في أتافي قرب ثيرا. لقد شدّ هذا الاسم، الذي ليس له وقع إغريقي، الانتباه مراراً وتكراراً و خاصة وأنَّ له جرساً لا يختلف كثيراً عن اسم ابن أبولو أسكلابيوس الذي من الصعب شرحه[٩] بطريقة مشابهة. إن اسمي Az(u)gllat(u) و Asgelat(as) متطابقان تماماً من حيث الصوت. فإذا حُذفت المقاطع الكتابية المتغيرة، فسيكون تسلسل المقاطع على درجة كبيرة من التعقيد مما يجعلنا نستبعد الصدفة كلياً ومن ثم ينسجم المعنى. إنه شرف لأبولو أن يكون طبيباً، وهذا ما تفعله المذاهب الأخرى حيث تدعوه طبيباً (ietros) كما هو واضح. والحقيقة أن تسلسل اسم المهرجان أسكيلايا Asglaia يجب أن يكون ثانوياً حيث أُعيد تركيبه من اسم أسكيلاتس Asgelatas وكأن هذا الاسم له النهاية الإغريقية العادية tas - و tes. فإذا تم قبول معادلة Azugallatu /Asgelatas فهذا يعني أنه كان هناك على هذه الجزيرة شخص ما في وقت ما و كان يعمل كمداوٍ وأنه أثار اسم أهالي بلاد الرافدين ل azugallatu كمداوٍ ضد الوباء وأن هذا الشخص قد نجح بطرد الوباء بعيدا بشكل جلي. فمنذ ذلك الزمن بدأ أبولو أسكيلاتس يُعبد هناك تحت اسم أبولو إبيكيوريس وتم الاعتراف له بالفضل في المساعدة للتخلص من الطاعون العظيم[١١] الذي حلّ بمنطقة باسي.

ولقد كان يُعبد في البندقية تحت اسم سانتا ماريا ديلا سالوتي في فترات متأخرة جداً. وهكذا يُقَدم أبولو أسكاليتس أعظم برهان مباشر على تسلل الممارسين الملهمين من التراث الشرقي إلى الإغريق القدماء؛ وقد تم العثور على أشياء موازية لبرونزيات كولا في ساموس.

إن الطريقة التي اتبعتها اللغة الإغريقية في امتصاص وكبت هذه المصطلحات الأجنبية جلية جداً خاصة في هذه الحالة. فلقد ثُبت وجود شكل مخادع مشابه لأجيلاتس Aiglatas "أبولو السماء المشعة" في وقت مبكر جداً في أنافي؛ ولقد وجد هذا النعت طريقه في أسطورة أرغونوتس، وظهر في الإهداءات التي جاءت في أوائل القرن الخامس قبل الميلاد[١٢]. فمن يستطيع أن يُخمّن وجود اللغة الأكادية وراء إغريقية واضحة للعيان كهذه؟ وإن الاحتفاظ بالأسماء الغريبة والرسمية للمذهب و المهرجان في مدخل بعض الوثائق فرصة سعيدة. يبدو جلياً أن اسم أسكيلاتس قد أصبح أكثر صعوبة في القراءة وأكثر قوة ونتيجة لذلك فقد أصبح أقدم من أجيلاتس. ولذلك يُنسب اسم أسكيلاتس إلى أواخر الحقبة القديمة. وهكذا فإن الدليل الخارجي يقربنا من فترة تأثير الشرق التي ينتمي إليها قادة الكلاب الساميين.

وبإشارة أخرى إلى كلمة في عالم الطبيب أسكيليبيس؛ فقد تم إثبات وجود كلمة واحدة للإشارة إلى للصداع والدوخة منذ ظهور كتاب أرسطو بعنوان *مشاكل*؛ وهذه الكلمة هي Karos أي "يدوخ" و التي ليس لها أصل إغريقي. أما في الأكادية، فإن كلمة karah تعني "يدوخ"[١٣]، وأما في الآرامية فإن karah تعني "يمرض" .إن الصدفة ممكنة جداً في تسلسل مقاطع صوتية بسيطة كهذه، ولكن على المرء أن يتصور أيضاً أن هذا المصطلح قد جاء إلى الإغريق مع العادات الشرقية للولائم وخاصة إدخال الأرائك وذلك للاستناد عليها (klinai) بدلاً من الكراسي؛ ولقد أصبحت هذه العادة جليةً في حلقات الدراسة الإغريقية منذ نهاية القرن السابع والتي ظهرت أول ما ظهرت مع آشور بانيبال. وهكذا فقد يكون هناك عدد كبير من الكلمات المستعارة من هذا النوع في المفردات الطبية، أما ما هو غير عادي فهو أن كلمة karos نجت من التمويه.

التنبؤ في حالة النشوة

إن التنبؤ فن غريب لا يستطيع أن يمارسه بنجاح إلا المختصون في ظروف خاصة. فأحياناً يتم التأكيد على التقنيات الخارجية والأجهزة المُكْتَسَبَه للمتنبئ حتى يبدو الفن وكأنه سهل التعلم. وأحياناً يُنظر إلى الحالة العقلية الخاصة على أنها كل شيء، سواء سُمِّيَتْ تملكاً أو نشوة أو جنوناً. ويظهر المتنبئ "المثير" عند الإغريق لأول مرة على خشبة المسرح في مسرحية أغاميمنون للكاتب إيسكيلس في مشهد كاساندرا العظيم. ولقد تكلم هرقل مسبقاً قبل ذلك بكثير عن العرّافة سسيبل وهي تتنبأ "بفم غاضب"؛ كما افترض هيرودوتس وجود التنبؤ في حالة النشوة في معبد جبل بتون للتنبؤ حوالي العام ٤٨٠[١]. وبعد ذلك ناقش أفلاطون الجنون التنبؤي على مستوى فلسفي عالٍ. أما في هذا السياق فقد أكد أفلاطون بأن بيثيا في ديلفي، التي هي أكثر المتنبئين الإغريق شهرة، كانت تتنبأ وهي في حالة من النشوة[٢]. وبعد فترة طويلة وصف بلوتارش في كتاباته عن ديلفي[٣] تفاصيل جلسة بثيا لتحضير الأرواح. و يُعْتَبَرُ هذا شاهد من الدرجة الأولى حيث أنه خدم هناك كقس لمدة عشر سنوات. وعلى الرغم من الدحض الجيولوجي للفرضية العقلانية بشأن البخار البركاني الذي يخرج من الأرض من تحت المرجل في معبد ديلفي والذي له قوة كيميائية "ملهمة" لبيثيا، فإن ذلك لم يقدم أية خدمة لعدم استحسان حالة النشوة التي كانت تتميز بها أحكام أبولو في ذلك المكان. فالوسيط لا يحتاج إلى كيمياء. والطريقة التي تظهر بها النشوة نفسها في الحالات الفردية يمكن أن تختلف من شخص إلى شخص. ويؤكد بلوتارش أن لا دهشة في حقيقة اختيار فتاة فلاحة مناسبة. وعلى الرغم من أن بعض الدارسين قد وجدوا هذا التنبؤ مثيراً للقلق، فإن التنبؤ في حالة النشوة يبقى منحة خاصة لا يمكن توقعها و لكن يمكن استغلالها جزئياً فقط.

كتب فارنل في عام ١٩١١ أنه بالمقارنة مع بلاد الاغريق فإن التنبؤ في حالة النشوة، لم يكن موجوداً في بابل[٤]. لقد تم تفنيد أراء فارنل منذ زمن بعيد. ففي الحقيقة كان المتنبئون والمتنبآت الذين يمارسون التنبؤ في حالة النشوة (mahhu , mahhutu) منتشرين في بلاد الرافدين. ولقد ظهر أكبر دليل على ذلك في ماري. أما تقرير وين - آمون فيعتمد على حالة

ما في بعلبك أيضاً[٥]. ففي زمن آشورآهيدون كانت نساء النشوة نشيطات في بلاد أشور ؛ وقد قدم الحضور في معبد عشتار في أربيل تقريراً عن الاتصالات المباشرة بين الآلهة و الملك على وجه التحديد ؛ وكانت الآلهة تتكلم مباشرة من خلال فم الإمرأة بصيغة الشخص الأول فتقول : "أنا، عشتار...."[٦].

يصل تراث العرافة سيبل أو مجموعة النساء المعروفات باسم السيبل من بابل إلى كيوما حيث يتمحور مركز ثقلهم في آسيا الصغرى[٧]. وتعترف الأفكار الكثيرة والمختلفة بخصوص تاريخ وعهد مجموعة السيبل بأنهم كانوا موجودين منذ القديم، وإنه من الصعب أن نعيد بناء التراث القديم من مصادر متأخرة. و يشير هرقل وهو أقدم شاهد لدينا إلى السيبل ونشوتها عندما تنطق بتنبؤات مزعجة "بفم غاضب" يغطي "١٠٠٠ سنة". ويُرْجِعُ التراث تاريخ سيبل ماريبسا إلى ما قبل حرب طروادة، أما سيبل إريثري فيضعها في القرن الثامن.[٨] وبالنسبة لسيبل كيوما فقد جعلها معاصرة ل تاركوينيوس سوبيربس في روما[٩]. وعلينا أن نعطي هذا التسلسل التاريخي مصداقية إلى الدرجة التي يمتد معها تراث كوما إلى ما قبل غزو مدينة روما على يد الأوسكانيين في القرن الخامس.

لقد تم منذ القديم الاهتمام بالأصول الشرقية للسيبل. وإلى حد ما فإن الكتب السيبيلية في المرحلة الهيلينية الثانية والزمن الإمبراطوري تجمع بين المعارضة "الشرقية" لروما والعناصر اليهودية القوية. وبالنظر إلى الانتشار الواسع وتوفر الأفكار التوسطية والتنبؤ، فإن تفاصيل معينة أو حتى اسم السيبل نفسه قد يزودنا بدليل واضح على اندماج الثقافات في العصور القديمة. فهناك "سيبل بابلية"، ولكن من السذاجة الربط المباشر بين اسم سيبلا وسيدوري، الزوجة ونديمة الجعة، وبين سيبلا وسابيتو sabitu[١٠] التي تظهر في ملحمة *جلجامش*، التي كان دورها أن تُري جلجامش الطريق إلى أوتنابيسهيتم بطل الطوفان. وقيل إن الاسم الخاص سامبيذي هو اسم سيبل البابلية ؛ ويقال إنها كانت موجودة في سفينة نوح كواحدة من زوجات ابنه[١١]. قد يجعلنا ذلك نفكر ونحسن نية بالسابيتو sabitu الجلجامشية. هذا و قد ارتبطت سيبل البابلية ببيروسوس، مما يشير إلى حصول التأريخ في الحقبة الهيلينية.

وبالنسبة لفترة التاريخ القديم، يجب أن نأخذ وقفة و لكن في سياق آخر تماماً، ألا وهو علم الفلك وصناعة التوقيت حيث تبدو الروابط ممتدة من بلاد الرافدين إلى ديلفي على وجه الخصوص. هذا وقد أوجد مارتن نيلسون[١٢] حلاً لهذه العلاقات المتداخلة. فيبدو أن التوقيت الإغريقي الأول وبأشهره المكونة للسنة يتبع مبادئ أوكتيتيريس البابلي. وتفترض مقدماً منظمة ألعاب "العذارى"، وعلى الخصوص منظمة الأولمبياد، بأنه قد تم تثبيت التوقيت على أساس فترة ثمان سنوات. وإن التاريخ التقليدي لأول أولمبياد هو ٧٧٦ قبل الميلاد، وإن البناء العظيم لمعبد الدولفي قد بدأ في هذا التاريخ تقريباً. ولقلما تحتاج مجموعة العوامل غير المؤكدة والموجودة في هذه التركيبة للتأكيد. حتى ولو أخذنا القائمة الأولى للفائزين في الأولمبياد على أنها موثوقة، فإن برنامج الألعاب الأول يبقى مشكوكاً في أمره حيث ظهر جدل في الآونة الأخيرة على أن هذه الألعاب قد بدأت فقط منذ حوالي العام ٧٠٠ قبل الميلاد[١٣]، كما وأن العلاقات مع ديلفي ليست واضحة. ومع ذلك يبقى المنظور الذي قدمه نيلسون مخادعاً، خاصة وأن هذه الانسجامات في طقوس التطهير والشفاء قد تم إضافتها، وهو الشيء الذي لم يأخذه نيلسون بعين الاعتبار.

وبذلك يمكننا رؤية تنبؤ بيثيا وهي في حالة النشوة في سياق مشابه. و في الحقيقة فإنه حتى الطقس الخاص، الذي يجتمع فيه الناس لتلقي الرسالة الرومانية من بيثيا والذي يتم فيه رش العنزة بالماء ومراقبة ردة فعلها، له ما يوازيه في بلاد الرافدين[١٤]. يبدو أنه وبالتوازي مع انتشار الكبد كنذير شؤم، فقد أصبح فن التنبؤ بالاتصال الروحي أكثر قرباً من للناس وحل محل الطرق الأكثر قدماً والأكثر بساطة كطريقة نُذُر الشؤم ومراقبة الطيور. فهل هذا الذي وطدّ شهرة ديلفي؟[١٥] ويتوجب على المرء أن يقاوم إغراءات الذهاب بعيداً لكي لا يحاول أن يشتق اسم أبولو من البابليين[١٦].

لاماشتو ، لاميا ، وكوركو

لاتنتمي الطقوس ونصوص التعويذات فحسب إلى عالم السحر في بلاد الرافدين، بل يضاف إلى ذلك الرقى. فهناك اسطوانات بسيطة وصغيرة بالإضافة إلى حبيبات عليها كتابات ذات صلة بالموضوع[١]. وهناك أيضاً صور خيالية مثل رؤوس بازوزو[٢] ولوحات لاماشتو[٣]. وكما هو الحال في أشكال الكبد في فحص الكبد، فقد كانت هذه الأشكال منتشرة حتى شمال سورية وأوغاريت و قبرص. و بنفس الطريقة التي وصل بها وجه همبابا إلى كورتين و وصلت بها تماثيل قادة الكلاب إلى ساموس، فقد سافرت نسخ من الأيقونات المصنوعة من أجل لاماشتو حتى إيطاليا[٤]. ومن المؤكد أن الإغريق القدامى شاهدوا تماثيل كهذه بين الحين والآخر. وفي الحقيقة فقد ترك شياطين في بلاد الرافدين آثاراً مختلفة عن أنفسهم.

جاء سابفو في بدايات أعماله على ذكر الشكل المخيف للغولة التي هي موضوع رعب للأطفال. ويقال أن الغولة تسرق وتأكل الأولاد الصغار. إن آثار هذا الشكل مستمر حتى اليوم[٥]. ويربط الاغريق اسم الغولة مع الشر المكشر عن أنيابه غيلان gelan؛ ولكن هذه الكلمة لا تنسجم بشكل لائق مع هذا المفهوم لا من حيث التهجئة ولا من حيث المعنى. ومن ناحية أخرى، فإن الغولة هي واحدة من أكثر أسماء الأرواح الشريرة شيوعاً في اللغة السومرية الأكادية. ولقد أشار دارسو العلوم الآشورية منذ القديم إلى هذا الانسجام وفسروه على أنه استعارة من بلاد الرافدين[٦]. أما دليل سابفو فسوف يضع الغولة في أواخر القرن السابع على الأقل. ولقد تم إعادة إنتاج a على شكل e وبشكل موازٍ ل Azugallatu Asgelatas/ وكما هو الأمر بالنسبة الاسم الحرف دلتا delta[٧].

وهناك شكلٌ أكثر شيوعاً وإثارةً للرعب من الغولة، إنه لاميا. لقد سبق للشاعر الإغريقي ستيسيكوروس[٨] وأن ذكر لاميا في فترات التاريخ القديم؛ وإنها لا تزال موجودة في الأدب الشعبي الحديث[٩]. إن لاميا غريبة و مثيرة للاشمئزاز و كريهة إلى أبعد الحدود، ومع ذلك فليس هناك خلاف حول تصويرها عند الاغريق؛ كما وإن أهم خصائصها هي أنها تسرق الأولاد ولربما حتى من أحضان أمهاتهم.

وفي هذه الخاصية على وجه التحديد، فإن لاميا تشبه العفريتة لاماشتو. لقد تم التعتيم على الانسجام بين هذين الاسمين ولمدة وجيزة وذلك من خلال القراءة الأولى لاسمها على أنه لابارتو labartu[١٠]. لقد كانت النساء الحوامل والنساء اللواتي على فراش الولادة والأمهات تَخَفْنَ من لاماشتو؛ وكن يحمين أنفسهن منها باستعمال السحر؛ وكان الناس يعتقدون أن حماراً أو سفينة سيذهب بها بعيداً عنهم. لذلك كان الناس يصنعون الرقى على شكل لوحات ويضعون فيها الصور المناسبة التي تقدم لهم الحماية المباشرة ضد لاماشتو. لقد وُجدت هذه اللوحات في أماكن أبعد من بلاد الرافدين وفي أوغاريت وفي بوكاسكوي وفي كارشيميش وفي زينسيرلي[١١]. فعندما نجد على ختم تصويراً لشيطان آشوري مرفقاً بكتابة فينيقية، فإن هذا سيؤكد لنا الاتصالات بين الغرب والشرق. ولقد وصلتنا رقية واحدة عليها تصوير يشبه لاماشتو من إيطاليا القرن السابع[١٢] على الأقل. وظهرت أيضاً شياطين تشبه لاماشتو في أواخر المعتقدات السورية السحرية[١٣]. وليس هناك فجوة بين البابليين والإغريق حيث يقول أحد النصوص اللاتينية إن لاميا هي ابنة بيلوس الفينيقي وبذلك يعطي الشيطانه أصولاً سامية[١٤].

وهنالك أيقونات خاصة للاماشتو تم التعرف عليها من خلال لوحات الرقى والنصوص ذات الصلة بالموضوع حيث تظهر لاماشتو وهي عارية، رأسها رأس أسد وثدياها متدليان وقدماها قدما الطير الجارح؛ وهناك خنزيرٌ و كلبٌ يرضعان من ثدييها؛ وغالباً ما تحمل ثعباناً في كل يد؛ وغالباً ما تُصور وإحدى ركبتيها منثنية، أي تكون في وضع الركبة المنثنية، ويقصد من هذه الحالة تصوير الطيران السريع. ويوجد عادة حمار تحتها وتحت الحمار سفينة؛ لقد تم تصميم ذلك كلّه ليحملها بعيداً (الشكل رقم ٥). وتبدو أحياناً الحيوانات منفصلة عن الشكل الرئيسي ومُجَمعة إلى اليمين و اليسار في مخطط سيدة الحيوانات[١٥].

وإن الموضوع الذي تمت مناقشته مراراً وتكراراً هو أن لاماشتو تشترك مع كوركون الإغريقية في خصائص كثيرة[١٦]. لا يشبه وجه كوركون الحقيقي لاماشتو كثيراً. فوجه

كوركون لا يجمع خصائص الأسد ومع ذلك فإن الأسودية هي واحدة من العناصر. وبينما تظهر كوركون دائماً مواجهة بالصورة وجهاً لوجه فإن لاماشتو تظهر دائماً بصورة جانبية. على أية حال فإنَّ هناك انسجاماً مذهلاً من حيث الثديين المتدليين ومخطط وضع الركبة المثنية، والأهم من ذلك كله أيقونات ممتلكاتها الخاصة. هذا ويمكننا أن نأخذ مثالاً على ذلك ألا وهو تصويرها المشهور في معبد في كورفو حيث تظهر في وضع الركبة المثنية بين أسدين خياليين أكثر من كونهما واقعيين؛ كما يظهر ثعبانان يشكلان حزاماً لها. ويظهر حصان وحيوان، هؤلاء هم "أولادها" الفرس المجنح و الإنسان المحارب بسلاح من ذهب، وهما يلمسان يديها اليمنى واليسرى. إن كل هذه العناصر، باستثناء المحارب، لها ما يقابلها في صورة لاماشتو تقريباً. وقد يكون هناك حصان بجانبها. وقد تم أحياناً تصوير كل من كوركون ولاماشتو وهما تحملان ثعبانين ومع ذلك فقد تم إعادة تنظيم هذه العناصر وأخذها في سياقها ووضعها في ترتيب جديد. أما المفهوم الأساسي فيبقى هو نفسه الوحش الطائر، وأما الأسطورة الإغريقية فقد طورت نظاماً جديداً كاملاً إلى جانب أسطورة بيرسيوس والفرس المجنحة والمحارب. يشير الحصان والمقاتل إلى اختيار الدخول في المذهب. وإن من يسيطر على الشيطان و يبطل مفعول الخوف هو البطل المسلح وليس السحر. ومما لاشك فيه أن بعض الفنانين الذين رسموا ملامح كوركون بهذه الطريقة قد شاهدوا لوحات لاماشتو؛ ولكنهم أخذوا الصور فقط و استعملوها لإعادة تركيب شيء أقرب من تراثهم[١٧].

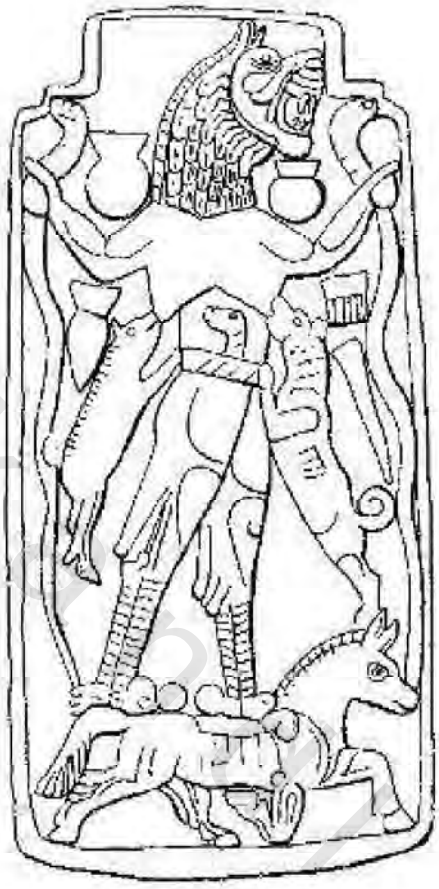

الشكل رقم (٥). صحيفة برونزية من كارشيميش: لاماشتو، شيطانه لها رأس أسد ومخالب طير، تقف فوق حمار، تقبض ثعابين وترضع خنزيراً وكلباً.

إن العلاقة بين أسطورة بيرسيوس - كوركون و الشرق السامي أكثر تعقيداً. فمن ناحية تقع أسطورة أندروميدا في يوبي جافا[١٨]، ومن ناحية أخرى، فإن لبريسيوس علاقات واضحة مع تارسوس[١٩]. وتظهر الأشكال التصويرية للقتال بين بيرسيوس والوحش البحري (ketos) على بعض الأختام الشرقية[٢٠]. أما في بلاد الرافدين فيقوم شاب بطل بذبح وحش

أنثى و حيدة العين[٢١]. وعلى أية حال فإن إيجاد أسماء لمشاهد في فن الأختام الشرقية هي مسألة بسيطة ؛ أما الصلات بالنصوص الملحمية كملحمة جلجامش فيمكن توطيدها ولكن في حالات نادرة فقط. إحدى هذه الحالات هي مشهد ذبح جلجامش وأنكيدو لهمبابا ؛ هذا المشهد الذي يشكل بدوره إحدى نماذج تصوير قتل بيرسيوس لكوركون (الشكل رقم ٦).

يوجد في برلين الآن ختم شرقي جدير بملاحظة خاصة[٢٢] ؛ إنه يصور مخلوق شيطاني كبير الحجم يقف مواجهة وفي حالة الركبة المنثنية حيث يمسك به شاب بطل يحمل سيفاً معكوفاً harpe بيده اليمنى وبفعلته هذه فإنه بدوره يشيح بوجهه بعيداً عن خصمه بشكل واضح. فهو يلبس حذاءً مجنحاً وخلفه صورة سمكة كبيرة. لقد أعاد قاموس روشير للأساطير إخراج هذه الصورة كتصوير واضح لبرسيوس وهو يقاتل كوركون[٢٣]. أما بيير آميت فهو فليس أقل تصميماً فيما يتعلق بالإطار الشرقي للأسطورة في هذا التصوير حيث أنه أعاد للأذهان الأسطورة الأوغاريتية عن القتال بين الآلهة آنات والآلهة موت دون ذكر لبيرسيوس وكوركون[٢٤]. وبالمقارنة مع الكوركون فإن للوحش مخالب طير وهذا يذكرنا بلاماشتو. من غيرالمفيد الجدل حول التفسيرات، فحتى تاريخ الختم غير واضح، وقد يكون سبق لهذا التاريخ وأن اعتمد على التصوير الإغريقي. ولكن ما يزال أملنا قليلاً بإيجاد نصوص كافية يمكن أن تشرح ذلك. وعلى الرغم من ذلك، تعدّ هذه الصورة وثيقة هامة توضح العلاقات المتبادلة والمعقدة بين الإغريق و الشرق في الفترة التاريخية القديمة حيث تكون الصورة وحتى المواضيع السردية الأساسية المتكررة غامضة في مجال الاتصال الثقافي المتبادل. هذا ويتم فهم هذه الاتصالات بطرق مختلفة من جوانب مختلفة حيث أنها تشكل عوالم جديدة. وأما الفهم الإبداعي فيمكن اعتباره أكثر أهمية من عملية النقل نفسها في هذه الحالات. ولكن يبقى النقل حقيقة ؛ وتبقى النماذج التصويرية محفوظة كما في أمثلة الصراعات الحربية لبيرسوس وحالة لاماشتو وكوركون.

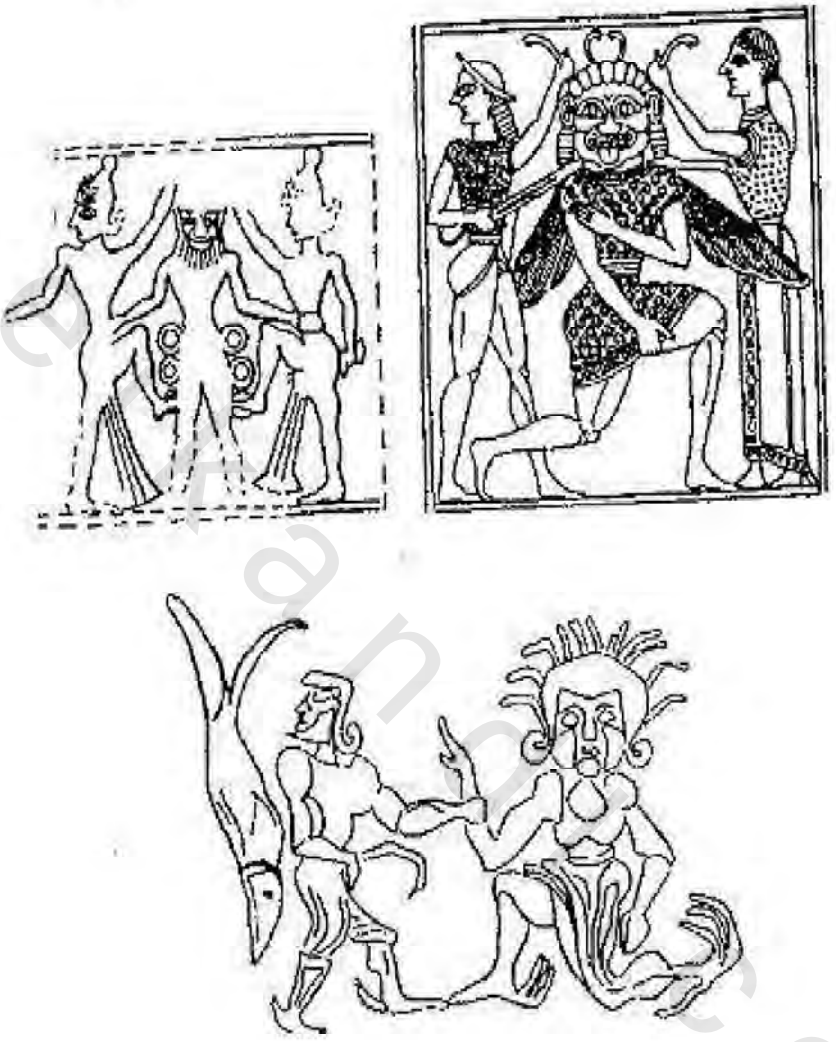

الشكل رقم (٦). من الأعلى على اليسار ختم بارز من نوزي، حوالي العام ٤٥٠ قبل الميلاد: جلجامش وأنكيدو يتصارعان مع همبابا. من اليسار الآلهة تعطي البطل سلاحاً.

من الأعلى على اليمين: درع بحزام جلدي، أولمبيا، حوالي العام ٥٦٠ قبل الميلاد: بيرسيوس يقتل كوركون بمساعدة أثينا يشيح بوجهة عن الوحش المخيف.

في الأسفل: ختم من بغداد، من القرن السابع إلى السادس قبل الميلاد: بيرسيوس يقاتل الكوركون.

في الحقيقة هناك خلاف واحد مدهش وذلك لأن هذه الشياطين ليست شيطانية حقيقة ولا ترتبط بأشياء خارقة للطبيعة عند الإغريق. وتستعمل في أحسن الحالات لتخويف الأطفال. وبالنسبة لرجال الإغريق فإن بيرسيوس يسوق مثلاً عن كيفية التعامل مع مخلوقات كهذه؛ فهو يحمل السلاح بيده حتى وإن لم تغب عنه عناصر السحر والمساعدة من الآلهة. ويمكن إثبات حالة نقل مشابهة من خلال مثال آخر ألا وهو صورة الأفعى الخانقة. ومن الواضح أن هذه صورة قديمة وهامة جداً في مجموعة صور بلاد الرافدين. فهذه تمثل مُروّض الحيوانات ومعه شخصية روحانية يحمل ثعبانين كبيرين بيده؛ قد يكون لهذا النموذج وظيفة لطرد الشر. لقد جعل الإغريق من هذا النموذج أول مغامرة لبطلهم هرقل؛ إنه العمل البطولي الذي أنجزه طفل في المهد[٢٦]. وبالطبع فإن دور هرقل في الحياة اليومية هو تجنيب الناس الشر alexikakos حيث تُستعمل رقاه لتأمين الحماية[٢٧]. لقد أزيل الخوف من الشياطين في الأسطورة الإغريقية أو في أشكال الشعر الإغريقي العام و الشعبي. ويتم تصوير البطل الإغريقي كإنسان يثق بقوته وكأنه إله حتى في شبح الموت[٢٨]. لقد تم تحويل التماثيل السحرية إلى رجال آلية عملية، لا تثير الرعب فقط وإنما هي مصدر لإثارة الدهشة[٢٩] بكل بساطة.